

روايات

الآنسة القلوب الوحيدة

ناثانييل واست

ترجمة: خالد بن مهدي

عالم الأدب
للترجمة والنشر

الآنسة القلوب الوحيدة

ناثانييل واست

ترجمة: خالد بن مهدي

عالم الأدب
للترجمة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتـــاب: الآنسة القلوب الوحيـدة
المؤلــف: ناثانيل واست
المترجـم: خالد بن مهدي

عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة
سنة الطباعـــة: ٢٠١٦م
بلـد الطباعـــة: السعودية
الطبعـــــــــة: الأولى

عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع
مؤسسة عربية تعتني بنشر النصوص المترجمة والعربية
في مجالات الثقافة العامة والأدب والعلوم الإنسانية

عالم الأدب
للترجمة والنشر

هاتف: 00201099938159
بريد إلكتروني: info@aalamaladab.com
القاهرة - جمهورية مصر العربية

Title: Miss Lonely hearts
Editor: Nathanael West
Translator: Khaled Bn Mahdi

Pages: 128
Year: 2016
Printed in: Saudi Arabia
Edition: 1

الفهرسة أثناء النشر - إعداد إدارة الشئون الفنية / دار الكتب المصرية

واست، ناثانيل
الآنسة القلوب الوحيدة/ تأليف، ناثانيل واست، ترجمة، خالد بن مهدي
القاهرة، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، ٢٠١٦
١٢٨ص، ١٤,٥×٢١,٥ سم
رقم الإيداع، ٢٠١٦/٥٧٦٧
١- رواية أمريكية أ- المهدي، خالد (مترجم) ب- العنوان

ISBN: 978-977-6539-17-4

عالم الأدب
للترجمة والنشر

طبعت في الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE
الجوال / ٥٦٣ ١١٠ ٥٦٣ ٩٦٦+

فهـرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المترجم	٧
إلى ماكس	١٣
أيتها الآنسة القلوب الوحيدة ساعديني، ساعديني	١٥

مقدمة المترجم

• ناثانييل واست

ولد باسم ناثان وينشتاين (١٧ أكتوبر ١٩٠٣ - ٢٢ ديسمبر ١٩٤٠)، وهو روائي أمريكي من عائلة يهودية. يتميز ناثانييل واست بأسلوبه الساخر الغريب وميله نحو الإلغاز والاستعارات السرْيالية المعقدة، كما تتميز كتاباته بخلُّوها من أي محتوىً سياسي وإنما تتمحور أساسًا حول تدهور الأوضاع الاجتماعية والثقافية خاصة في فترة الكساد الكبير في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان اعتناؤه أصالة بالقضايا الدينية الوجودية وخصوصًا بالمسيحية.

لم يتحصَّل ناثانييل واست علىٰ شهادات من جامعات مرموقة ولم يكن يستهويه التعليم النظامي أصلًا، وإنما كان شغوفًا بالمطالعة، حريصًا عليها، وكان قد بدأ في كتابة رواياته منذ كان في الجامعة لكنه لم ينشر أيًا منها إلا بعد ذلك بسنوات. من أهم

مؤلفاته: «**حلم حياة بالسو سنال**» (١٩٣١)، «**الآنسة القلوب الوحيدة**» (١٩٣٣) وهي أشهرها وأفضلها كما سيتبيَّن لاحقًا، «**المليون اللطيف**» (١٩٣٤)، و«**يوم الجراد**» (١٩٣٩).

- «**الآنسة القلوب الوحيدة**»

هذه الرواية، أو بالأحرىٰ الأقصوصة، هي من أعظم ما كتب ناثانيل واست وهي رغم اقتضابها الشديد وحمولتها الرمزية الثقيلة التي أودعها مؤلفها فيها؛ إلا أنها باتفاق النقاد تقريبًا من أفضل الأعمال الروائية التي كُتبت خلال القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد وصفها **هارولد بلوم** بأنها: «**تحفة فنية قاسية**»[١]. وهي كما ذكر كينغسلي ويدمر: «**تُعتبر أفضل أعماله**» (أي: ناثانيل واست)[٢]. ذهب بعض النقاد إلىٰ أنَّ ما يميز هذه الأقصوصة أنها متجذرة في الثقافة الأمريكية تمامًا، فتحاكيها بسخرية لاذعة، وتنفض عنها الأقنعة الزائفة فتبرز عيوبها، وتشير إلىٰ تناقضها وضمورها، وتُلمِح إلىٰ مواضع قصورها، بل تجذُّرها في الثقافة الأمريكية يكمن كذلك في أسلوب الكتابة؛ فهي أمريكية بقدر ما أنَّ «**الأرض اليباب**» لتي. إس. **إليوت** أوروبية. ومنهم من

(١) Nathanael West's Miss Lonelyhearts. Ed. Harold Bloom, The Introduction. Chelsea House Publishers (2005), p. 1.

(٢) Widmer, Kingdley. "The Religious Masquerade: Miss Lonelyhearts". Nathanael West's Miss Lonelyhearts, ed. Harold Bloom. Chelsea House Publishers (2005) p. 11.

يجعل ميزتها في محاكاتها الساخرة الجريئة للرموز المسيحية وعزوها إلىٰ القصور في تحقيق الخلاص وإضفاء المعنىٰ والمقصد علىٰ حياة الإنسان ووجوده وتوفير العزاء لأولئك الذين يعانون من شراسة هذا العالم المادي وقساوة أهله. بل إنَّ ما يميز «**الآنسة القلوب الوحيدة**» عند آخرين: النقد اللاذع الذي يوجهه وايست إلىٰ الحضارة المادية في عمومها، التي طغت علىٰ مختلف جوانب الحياة، فجرَّدتها من كل معنىٰ، وسلبتها كل وسيلة لتحقيق هدف روحي أو معنوي. فلم تترك للإنسان المطحون تحت حجارتها وحديدها، تحت سياراتها وقطاراتها، تحت تماثيلها الإسمنتية وطرقاتها الإسفلتية؛ لم تترك له مهربًا يفر إليه، أو ملتجأ يلتجئ إليه، إلا وجعلته بلا قيمة وبلا معنىٰ؛ فالفنُّ صار من حلفائها، والدين طوَّعته واستخدمته لصالحها.

يبقىٰ موضوع سيطرة الثقافة المادية موضوعًا مهمًّا في هذه الأقصوصة وقد تناوله المؤلف بأسلوبه الغامض، الذي يجمع بين الضحك والحزن، والسخرية والعنف، والإغراق في الإلغاز واستعمال الرموز والاستعارات المعقدة. كل شيء في هذا العالم المادي يُعرف بالوظيفة التي يقوم بها والمهمة التي أوكلت له للرقي بكل ما هو مادي، **فالبطل** في هذه الأقصوصة ليس له اسم سوىٰ «**الآنسة القلوب الوحيدة**»، وهذا الاسم المستعار يستعمله في كتابة عموده الذي يقدِّم نصائح للقراء. بعبارة أخرىٰ، هو ليس إنسانًا، أو

فردًا، أوشخصًا له وجود يتجاوز الوجود المادي الذي يحصره فيه هذا اللقب.

لقد أنشأت الحضارة المادية (والتي كانت تشهد تدهورًا كبيرًا زمن كتابة الأقصوصة) أديانًا جديدة، أديانًا تساهم في نمو «حركة انتشار الصحيفة». وجعلت آلهة جديدة، «إنَّ سوزن تشاسترز وبياتريس فيرفاكس والآنسة **القلوب الوحيدة** هم كهنة القرن العشرين». في هذا العصر المادي الذي أضاع فيه الإنسان طريقه ونسيَ سبب وجوده أو أُنسيَه؛ يعجز الإنسان، إن لم يتزود جيدًا، عن العثور علىٰ ذلك القبس الضائع وذلك النور الذي سُلبه. بل سيكون مصيره مثل مصير السيد دويل، يجرُّ ساقه المشلولة وراءه وهو يحوم علىٰ وجهه بين الأزقة والأقبية، يتساءل في حيرة لماذا كل هذا؟

إنَّ المؤلف، وإن كان ملحدًا، إلا أنَّه لا يقدم الإلحاد كبديل عن الإيمان، ولا يجعل من الملذات الجسدية الصرفة كالجنس وشرب الخمر، ولا المغذيات الروحية المتوهَّمة كالفن أو الطبيعة؛ لا يجعل من ذلك العلاج المتوخَّىٰ لعلل الإنسان المعاصر. إذ كل ذلك مشوه وملطَّخ بآثار هذا العالم الذي تطغىٰ عليه المظاهر. لقد وصل الإنسان إلىٰ مرحلة غُلب فيها علىٰ أمره، فصار عاجزًا تمام العجز عن التفلُّت من براثن الحضارة المادية المعاصرة. فهو وإن كان متدينًا (مسيحيًّا بالأساس)، فإنَّ هذا الدين قد شوَّهته الحضارة

الغالبة وأفرغته من محتواه. إنَّ نقده ليس متوجهًا إلىٰ الدين في ذاته؛ وإنما للصورة التي صار عليها: لا يضيف معنىٰ ولا يهدي سبيلًا.

إلا أننا نقول: لا، لم يغلب الإنسان ولن يغلب علىٰ أمره إذا ما تزوَّد بخير الزاد، وبحث عن المعنىٰ الذي يبتغيه حيث ينبغي له أن يبحث. إنَّ الصوارف كثيرة ومتعددة، وهي ذات تأثير قوي وعميق، وأدوات المادية فعَّالة إلىٰ حدٍ بعيد، وأسلحتها مدمرة للوعي والروح والعقل؛ إلا أنَّ الأمر يستحق المعاناة، ويتطلب السعي وبذل الجهد، ولن يُوفَّق إلا مَن وفقه الله.

وأخيرًا، أتمنىٰ للقارئ الكريم قراءة ممتعة، حاثًّا إياه أن لا يقف عند العبارات وإنما يجعها مطيةً للوصول إلىٰ المعنىٰ وتفحُّص الرموز والاستعارات، راجيًا منه أن يعذر خطأ وقع هنا أو هناك، وتعبيرًا كان غيره أليق منه وأفصح في البيان؛ ذلك أنَّ مهمة الترجمة، كما لا يخفىٰ عليه، عسيرة وحملها ثقيل، وهي أعسر وأثقل إذا كان النَّص الأصلي مُغرقًا في الخصوصية الثقافية، وحيث يكون استعمال اللغة المحلية مقصودًا لذاته، حيث **«يُراد لكل كلمة أن تؤخذ في (الحسبان)، بأكثر من معنىٰ واحد لكلمة (الحسبان)»**[١].

---

(١) Nathanael West's Miss Lonelyhearts. Ed. Harold Bloom, The Introduction. Chelsea House Publishers (2005), p. 3.

لمن أراد القراءة حول الأقصوصة، أنصح بهذا الكتاب الجماعي الذي حرَّره وقدم له البروفيسور هارولد بلوم:

Nathanael West's Miss Lonelyhearts, ed. Harold Bloom. Chelsea House Publishers (2005)

إلى ماكس

الآنسة القلوب الوحيدة

ناثانييل واست

أيتها الآنسة القلوب الوحيدة ساعديني، ساعديني

جلس الآنسة القلوب الوحيدة التابع لمكتب البريد بنيويورك (هل أنت في مشكلة؟ هل تحتاج إلىٰ نصيحة؟ راسل الآنسة القلوب الوحيدة وسوف تساعدك) إلىٰ مكتبه واطَّلع إلىٰ علبة كرتون، عليها دعاء طَبَعَهُ شرايك، رئيس التحرير.

أيا روح الآنسة آلْ، مجِّديني.
أيا جسد الآنسة آلْ، غذِّني.
أيا دماء الآنسة آلْ، أسكريني.
أيا دموع الآنسة آلْ، اغسليني.
أيتها الآنسة آلْ الطيبة، اعذري مناشدتي،
وأخفيني في قلبك،
وادفعي عني أعدائي،
ساعديني أيتها الآنسة آلْ، ساعديني، ساعديني.

إلىٰ أبد الآبدين، آمين.

علىٰ الرغم من أنَّ آخر أجل للتسليم كان أقل من ربع ساعة؛ إلَّا أنَّه ما زال يعمل علىٰ كتابة كلمته الافتتاحية وقد وصل إلىٰ هذا القدر: «إنَّ الحياة تستحق العناء؛ لأنها مملوءة بالأحلام والسلام، والرقة والنشوة، والإيمان الذي يشتعل كقبس من نور أبيض ساطع علىٰ مذبح مظلم قاتم». لكنه وجد أنَّه يستحيل عليه أن يكمل. فالرسائل لم تعد مضحكة، ولم يعد بإمكانه أن يجد الدعابة ذاتها مضحكة ثلاثين مرة في اليوم لمدة أشهر حتىٰ النهاية. وفي أغلب الأيام كان يستقبل أكثر من ثلاثين رسالة، كلها متشابهة، مختومة بعجينة المعاناة بسكين كعك علىٰ شكل قلوب.

علىٰ مكتبه تكوَّمت الرسائل التي تلقاها صباح هذا اليوم. لقد بدأ فيها باحثًا عن قرينة علىٰ إجابة صادقة.

«عزيزتي الآنسة القلوب الوحيدة..

إني أتألم إلىٰ درجة أني لا أدري أحيانًا ماذا يجب أن أفعل أعتقد أني سأقتل نفسي، كليتي تؤلمني جدًا. زوجي يعتقد أنَّه لا يمكن لأي امرأة أن تكون كاثوليكية حقًا دون أن تنجب أطفالًا بغضِّ النظر عن الألم. لقد تزوجت علىٰ نحو مشرف في كنيستنا لكنني لم أعلم يومًا ما تعنيه الحياة الزوجية؛ إذ لم أُخبر أبدًا عن الرجل وزوجته. فجدتي لم تخبرني وهي كانت الأم الوحيدة التي عرفتُ لكنها ارتكبت خطأ فادحًا بعدم إخباري؛ إذ ليس مفيدًا أن

يكون المرء بريئًا ليس سوىٰ خيبة أمل كبيرة. لقد أنجبت ٧ أطفال في ١٢ سنة، ومنذ أن أنجبت الطفل الثاني وأنا مريضة. لقد أُجريت لي عملية جراحية مرتين وقد وعد زوجي بأنَّا لن ننجب المزيد من الأطفال بناء علىٰ نصيحة الأطباء، حيث قالوا بأني يمكن أن أموت لكنه أخلف وعده عندما عدنا إلىٰ البيت وها أنا الآن علىٰ وشك إنجاب صغير ولا أظنني قادرة علىٰ تحمل ذلك؛ فكليتي تؤلمني جدًّا. أنا مريضة للغاية وخائفة وليس بإمكاني القيام بعملية إجهاض؛ نظرًا لكوني كاثوليكية وزوجي متدين جدًا. أبكي طوال الوقت وهي تؤلمني جدًّا ولا أدري ماذا يجب أن أفعل.

مع احترامي

سئمتُ من كل شيء».

ألقىٰ الآنسة القلوب الوحيدة الرسالة في الدرج المفتوح وأشعل سيجارة.

«عزيزتي الآنسة القلوب الوحيدة..

عمري ست عشرة سنة ولا أدري ماذا أفعل وسوف أقدِّر مساعدتك إن أمكنك أن تخبرني ماذا أفعل. لم يكن الأمر بذاك السوء عندما كنت صغيرة فقد تعودتُ علىٰ أطفال الحي وهم يسخرون مني، لكني الآن أرغب في أن يكون لدي صديق مثل الفتيات الأخريات وفي الخروج في ليالي السبت، لكن لن يصحبني

أي فتىً فقد ولدت بلا أنف - رغم أني راقصة بارعة وشكلي لطيف وأبي يشتري لي ملابس جميلة.

أجلس أنظر إلىٰ نفسي طوال اليوم وأبكي. لدي ثقب كبير في وسط وجهي يخيف الناس، حتىٰ أنا؛ فلذا لا يمكنني أن ألوم الفتية علىٰ عدم رغبتهم في اصطحابي. أمي تحبني، لكنها تبكي بشكل رهيب عندما تنظر إليّ.

ماذا فعلت لكي أستحق هذا المصير الرهيب؟ حتىٰ وإن فعلت أشياءً سيئة فإني لم أفعل أيًا منها قبل أن أبلغ السنة من عمري وقد وُلدت علىٰ هذا النحو. سألت والدي فأخبرني بأنَّه لا يعلم، لكن ربما قمت بشيء ما في العالم الآخر قبل أن أولد أو ربما أُعاقب علىٰ خطاياه هو. لا أعتقد ذلك؛ لأنَّه رجل لطيف جدًّا. هل يجدر بي أن أنتحر؟

المخلصة،

اليائسة».

كانت السيجارة معيبة ولم تشأ أن تُسحب. أخذها **الآنسة القلوب الوحيدة** من فمه وحدق بها بشراسة. غالَب نفسه حتىٰ يهدأ، ثم أشعل واحدة أخرىٰ.

«عزيزتي **الآنسة القلوب الوحيدة**..

أكتب إليك من أجل شقيقتي الصغرىٰ غرايد؛ لأنَّ شيئًا فظيعًا

حدث لها، وأخاف أن أخبر أمي. عمري ١٥ سنة وغريسي ١٣ سنة ونعيش في بروكلين. غريسي صمّاء وبكماء وهي أكبر مني لكنها ليست ذكية جدًّا؛ نظرًا لكونها صمّاء وبكماء. هي تلعب فوق سطح منزلنا ولا تذهب إلىٰ المدرسة إلَّا إلىٰ مدرسة الصم والبكم مرتين في الأسبوع، أيام الثلاثاء والخميس. أمي تجبرها علىٰ اللعب فوق السطح؛ لأننا لا نريد أن تدهسها سيارة لكونها ليست ذكية. في الأسبوع الفارط جاء رجل إلىٰ السطح وفعل شيئًا قذرًا لها. لقد أخبرتني بذلك ولا أدري ماذا أفعل، فإني أخاف أن أخبر أمي إذ قد تبرح غرايد ضربًا. أخشىٰ أن تنجب غرايسي طفلًا، وقد أنصتُ إلىٰ بطنها البارحة لمدة طويلة لأنظر هل باستطاعتي أن أسمع الطفل ولكن لم أستطع. إذا أخبرت أمي فإنها ستبرح غريسي ضربًا بشكل فظيع، وفي المرة الفارطة عندما مزقت فستانها حبسوها في الخزانة لمدة يومين، وإذا علم الفتية في الحي بذلك فإنهم سيقولون أشياء قذرة كما فعلوا مع شقيقة بيوي كونكورز عندما أمسكوها في الخرب. فأرجوك ما أنت فاعل لو حدث الشيء نفسه في عائلتك؟

مع احترامي

هارولد. أس».

توقف عن القراءة. المسيح كان هو الجواب، ولكنه إذا ما أراد أن لا يثير اشمئزازه، فعليه أن يظل بمنأىٰ عن الأمور المتعلقة بالمسيح. وفوق ذلك، كان المسيح دعابة شرايك الخاصة. «أيا

روح الآنسة آلْ، مجديني. أيا جسد الآنسة آلْ، غذِّني. أيا دماء . . .»
التفت إلىٰ آلته الكاتبة.

رغم أنَّ ملابسه كانت أنيقة للغاية، فما زال يبدو كنجل قس المعمدان. فاللحية سوف تصبح هو، سوف تفصح عن مظهره من العهد القديم. وحتىٰ من غير اللحية، فلا أحد يعجز عن معرفة البروتستانتي من نيو إنجلاند. كانت جبهته مرتفعة وضيقة، وكان أنفه طويلًا وهزيلًا، وكان ذقنه العظمي مشكلًا ومنحوتًا مثل حافر الدابة. عند رؤيته أول مرة، تبسم شرايك وقال: «إنَّ سوزن تشاسترز وبياتريس فيرفاكس والآنسة القلوب الوحيدة هم كهنة القرن العشرين».

جاء فتىٰ النسخ ليخبره بأنَّ شريك يود أن يعرف ما إذا كانت الأشياء جاهزة. انحنىٰ علىٰ الآلة الكاتبة وبدأ بدقِّ مفاتيحها.

لكن قبل كتابته عشر كلمات، انحنىٰ شريك فوق كتفه، وقال: «الأشياء القديمة نفسها، لماذا لا تعطيهم شيئًا جديدًا وتمنحهم الأمل؟ أخبرهم عن الفن. خُذ، سأملي عليك:

«يُعد الفن متنفسًا . .

لا تدع الحياة تستحوذ عليك. عندما تختنق السبل القديمة بحطام الفشل، ابحث عن سبل أحدث وأعذب. وهذا هو سبيل الفن. فالفن مستقطرٌ من المعاناة. كما هتف السيد بولينكوف من خلال لحيته الروسية الرائقة، عندما، في سن السادسة والثمانين،

تخلىٰ عن مشاريعه ليتعلم اللغة الصينية: (نحن حتىٰ الآن لسنا إلَّا في البداية . . .).

إنَّ الفن هو إحدىٰ أغنىٰ هبات الحياة. .

فأولئك الذين ليس لهم موهبة ليخلقوا، يمكنهم أن يقدِّروا. .

أكمل من هنا».

● الآنسة القلوب الوحيدة والوجه الخالي من التعبير

عندما انتهىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة** من العمل، وجد أنَّ الطقس قد صار دافئًا وأنَّ الهواء تنبعث منه رائحة كما لو أنَّه تم تسخينه بشكل اصطناعي. قرر الذهاب إلىٰ حانة دليهانتي سيرًا علىٰ الأقدام ليحتسي شرابًا. ولكي يصل إلىٰ هناك، كان عليه عبور حديقة صغيرة.

دخل الحديقة من البوابة الشمالية وابتلع لُقَمًا من الظل الثقيل الذي أجنَّ قوسها. سار في ظل عمود الإنارة الممدد علىٰ الطريق مثل الرمح. لقد اخترقه مثل الرمح.

بقدر ما استطاع أن يكتشف، لم تكن ثمة بوادر الربيع. إنَّ العفن الذي غطىٰ سطح الأرض المبقَّعة ليس من النوع الذي تولد فيه الحياة. في العام الماضي، حسبما يتذكر، لم يستطع مايو أن يحييَ تلك الحقول المتسخة. لقد تحمل وحشية يوليو كلها لكي يعذب عددًا قليلًا من الأشواك الخضراء خلال التربة المنهكة.

ما كانت الحديقة بحاجة إليه، حتىٰ أكثر منه، هو أن تحتسيَ شرابًا. لا الكحول ولا المطر يمكنها أن تلبي تلك الحاجة. غدًا، في عموده، سوف يطلب من منكسرة القلب وسئمتُ من كل شيء واليائسة والمحبطة من زوجها المشْلُول وبقية مراسليه المجيء إلىٰ هنا وأن يسقين التربة بدموعهن. عندها سوف تتفتح الزهور، الزهور التي تفوح منها رائحة الأقدام.

«إنَّ الإنسانية قاطبة . . .» لكنه كان مثقلًا بالظل وقد انحدرت الدعابة نحو منحدر قاتل. حاول أن يقطع سقوطها بالضحك من نفسه.

ولكن لماذا يضحك من نفسه في حين أنَّ شرايك كان بانتظاره للقيام بعمل أفضل بكثير. «صديقي الآنسة القلوب الوحيدة، أنصحك أن تعطي قراءك. فعندما يسألونك الخبز لا تعطيهم المكسرات مثلما تفعل الكنيسة، ولا تكن مثل الدولة فتطلب منهم أن يأكلوا الكعك. اشرح لهم أنَّ المرء لا يمكنه أن يعيش علىٰ الخبز فقط، وامنحهم الحجارة. علِّمهم أن يدعوا في كل صباح: (أعطنا اليوم حجارتنا اليومية)».

لقد منح قراءه الكثير من الحجارة؛ كثيرة جدًا، في واقع الأمر، حتىٰ إنَّه لم يبق لديه سوىٰ حجر واحد فقط: الحجر الذي شكَّله في أحشائه.

باغته التعب فجأة، فجلس علىٰ أحد المقاعد. لو كان بإمكانه فقط أن يرمي الحجر. بحث في السماء عن هدف. لكنَّ السماء رمادية اللون بدت وكأنها قد حُكَّت بممحاة متسخة. فلم يكن فيها ملائكة ولا صلبان مشتعلة، أو الحمائم التي تحمل أغصان الزيتون، أو العجلة داخل العجلة. ليس هناك سوىٰ صحيفة تصارع الهواء مثل طائرة ورقية مكسورة العمود. وقف علىٰ قدميه وانطلق مجددًا في اتجاه الحانة.

كانت حانة دليهانتي تقع في قبو منزلٍ مبني من الحجر الأسمر وقد تميَّز عن جيرانه الأكثر احترامًا بامتلاكه بابًا مصفحًا. ضغط علىٰ زر خفي فانفتحت نافذة صغيرة مستديرة في وسطه. ظهرت عين محتقنة بالدم، متوهجة كياقوتة في خاتم فولاذي عتيق.

«آه، يا صديقي الشاب!» صرخ قائلًا. «كيف أجدك؟ أظنك تمعن في التفكير مرة أخرىٰ».

«حبًا في المسيح، اخرس».

تجاهل شرايك مقاطعته لحديثه. «أنت مهووس يا صديقي، مهووس. انسَ صلب المسيح، وتذكّر عصر النهضة. لم يكن هناك من يمعن في التفكير آنذاك». رفع كأسه فكانت عائلة بورجيا كلها متمثلة في حركة جسده تلك. «سوف أعطيك عصر النهضة. يا لها من فترة! يا لها من أبهة! باباوات سكارىٰ ... محظيات باهرات الجمال ... أطفال غير شرعيين ...».

رغم أنَّ حركاته كانت متقنة، فقد كان وجهه خاليًا من أي تعبير. لقد مارس خدعة تُستخدم كثيرًا من قبل كوميديي الصورة المتحركة: الوجه الخالي من التعبير. مهما كان خطابه رائعًا وحماسيًا، فإنَّ ملامحه لم تتغير. تجمعت ملامحه تحت جبهته البيضاء كروية الشكل في مثلث رمادي ميت.

ظلَّ يصرخ: «من أجل عصر النهضة! من أجل عصر النهضة! من أجل المخطوطات الإغريقية بنية اللون، والعشيقات ذوات الأطراف التي تشبه في سلاسة ملمسها الرخام . . . لكن لقد ذكرني هذا أني أنتظر إحدىٰ المعجبات: فتاة ذكية للغاية عيناها أشبه ما تكون بعيني البقرة». وقد وضَّح كلمة ذكية من خلال نحت ثديين كبيرين في الهواء بيديه. «تعمل في متجر كتب، لكن انتظر حتىٰ ترىٰ اسْتَهَا».

ارتكب **الآنسة القلوب الوحيدة** خطأً بإظهار انزعاجه.

«آه، لا تهتم للنساء، هاه؟ يسوع المسيح هو حبيبتك الوحيدة، هاه؟ يسوع المسيح، ملك الملوك، **الآنسة القلوب الوحيدة** سيدة الآنسات القلوب الوحيدة . . .».

في هذه اللحظة، لحسن حظ **الآنسة القلوب الوحيدة**، جاءت الفتاة التي ينتظرها شرايك إلىٰ الحانة. كان لديها ساقان طويلتان، وكاحلان سميكان، ويدان كبيرتان، وجسم قوي، وعنق نحيل، ووجه طفولي جعلته قصة الشعر الرجالية أصغر حجمًا.

«الآنسة فاركس» قال شرايك جاعلًا إياها تنحني كما يفعل المتكلم من بطنه بدميته، «أيتها الآنسة فاركس، أودك أن تقابلي **الآنسة القلوب الوحيدة**. أظهري له الاحترام ذاته الذي تُظهرينه لي. فهو أيضًا يواسي الفقراء روحيًا ومحب للرب».

لقد أقرَّت المقدمة بمصافحة ذكورية.

قال شريك: «الآنسة فاركس، الآنسة فاركس تعمل في متجر كتب وتمارس الكتابة بشكل عَرَضي». وربَّت علىٰ ردفها.

«عما كنتما تتحدثان بكل هذا الحماس؟» سألت الآنسة فاركس. «الدين».

«هات شرابًا وتابعا من فضلكما. أنا مهتمة جدًّا بالمستخلص التومائي الجديد».

كان هذا هو النوع من الملاحظات الذي كان شرايك بانتظاره. «القديس طوماس!» قال صارخًا. «ماذا تظنيننا، مثقفين مُنْتني الرائحة؟ نحن لسنا أوروبيين مزيفين. كنا نتناقش حول المسيح، **الآنسة القلوب الوحيدة** سيدة الآنسات القلوب الوحيدة. إنَّ لأمريكا دياناتها الخاصة. إذا كنت بحاجة إلىٰ مستخلص، فإنَّك بحاجة لاستخدام هذا النوع من المواد». سحب قصاصة من محفظته ورمىٰ بها علىٰ المشرب.

«**الآلة المضيفة التي تُستخدم في طقوس الطائفة الغربية** . . .

وسيتم استخدام الأرقام للصلوات علىٰ القاتل المدان بقتل العجوز المنعزل . . . **دنفر، كولورادو، ٢ فبراير** (أ. ب) فرانك ه. رايس، أعلن الحبر الأعظم للكنيسة الليبرالية الأمريكية أنَّه سينفذ خطته حول طقس «الماعز والآلة المضيفة» لوليام مويا، القاتل المدان، علىٰ الرغم من الاعتراض علىٰ برنامجه من قبل كاردينال الطائفة. أعلن رايس أنَّه سيتم استخدام الماعز كجزء من خدمة «الكيس القماشي والرماد» قبل وبعد إعدام مويا، المعيَّن في أسبوع العشرين من يونيو. سيتم تقديم الصلاة علىٰ روح الرجل علىٰ الآلة المضيفة. وقد وضح بأنَّ الأرقام تشكل اللغة العالمية الوحيدة. قتل مويا جوزيف زمب، العجوز المنعزل، في خصام حول مبلغ صغير من المال».

جلسوا إلىٰ طاولة داخل إحدىٰ المقصورات. رفع شرايك قبضته مرة أخرىٰ، ولكن عندما تراجعت الآنسة فاركس، غيّر حركته إلىٰ مداعبة. نجحت الخدعة، وسلمت قيادها ليده إلىٰ أن أصبح أكثر جرأة، ثم دفعته بعيدًا.

بدأ شرايك بالصراخ مجددًا، وهذه المرة فهم **الآنسة القلوب الوحيدة** أنَّه كان يلقي خطاب إغراء.

صرخ شرايك قائلًا: «أنا قديس عظيم. أستطيع أن أمشي علىٰ الماء الخاص بي. ألم تسمع بآلام شرايك في الونتشيونيتي، أو المعاناة في الصودا فاونتان؟ ثم قارنتُ الجراح في جسد المسيح

بأفواه المحفظة المعجزة التي نودع فيها التغيير الطفيف علىٰ خطايانا. إنَّه حقًا لغرور متميز. لكن دعونا الآن ننظر إلىٰ الثقوب في أجسادنا وعلىٰ ماذا تنفتح هذه الجروح الخلقية. تحت جلد الإنسان تكمن غابة عجيبة حيث تشبه الأوردة زوائد استوائية خصبة معلقة علىٰ طول أعضاء ناضجة أكثر من اللزوم، وأحشاء مثل الأعشاب الطفيلية تتلوَّىٰ في تشابكات متمعِّجة حمراء وصفراء. في هذه الغابة، مرفرفًا من صخرة الرئتين الرمادية إلىٰ الأمعاء الذهبية، من الكبد إلىٰ الأضواء عائدًا مجددًا إلىٰ الكبد، يعيش طائر اسمه الروح. يصطاد الكاثوليكي هذا الطائر بالخبز والنبيذ، والعبري بالقاعدة الذهبية، والبروتستانتي علىٰ الأقدام الرصاصية بكلمات ثقيلة كالرصاص، والبوذي بالحركات الجسدية، والزنجي بالدماء. أبصُقُ علىٰ كل منهم. أدعوك أنا وفوهل لتبصق عليهم. فوهل هل تحشو الطيور؟ لا يا أعزائي، فإنَّ التحنيط ليس دينًا. لا! وألف لا. إنَّ طائرًا حيًّا في غابة البدن خير، أقول لكم، خير من طائرين محنطين علىٰ طاولة المكتبة».

سارت مداعباته علىٰ وتيرة الخطبة نفسها. عندما بلغ النهاية، دفن وجهه مثلث الشكل كنصل فأس صغير في عنقها.

● الآنسة القلوب الوحيدة والحَمَل

ذهب الآنسة القلوب الوحيدة إلىٰ المنزل في سيارة أجرة. لقد عاش وحيدًا في غرفة مليئة بالظلال كما لو كانت نقشًا حديديًا.

يوجد فيها سرير وطاولة وكرسيان. كانت الجدران عارية إلَّا من مسيح عاجي معلق قبالة سفح السرير. لقد أزال الشكل من الصليب الذي تم تثبيته إليه وعلَّقه علىٰ الحائط بمسامير كبيرة. بيد أنَّه لم يحصل علىٰ التأثير المرغوب فيه. فبدلًا من أن يلتوي، ظلَّ المسيح بهدوء مجرد زخرفة.

خلع ثيابه علىٰ الفور وأخذ سيجارة ونسخة من «الإخوة كارمازوف» إلىٰ السرير. كانت العلامة في الفصل المخصص للأب زوسيما.

«أحبوا الناس رغم خطاياهم، فبذلك تعرفون المحبة العظمىٰ التي هي علىٰ صورة محبة الرب. أحبوا خلق الله جملة، وأحبوا كل ذرة من الرمل علىٰ حدة، وكل ورقة شجر، وكل شعاع ضوء! أحبوا الحيوانات، أحبوا النباتات، أحبوا كل موجود. إنكم حين تحبون الخليقة تنفذون إلىٰ السر الإلهي الذي تضمه، والمعرفة التي تحصلون عليها بذلك ستنمو بعد ذلك، ثم ما تنفك تكبر في كل يوم، فإذا حبكم يعم الكون بأسره، ويصبح شاملًا».

لقد كانت نصيحة رائعة. وسيحقق نجاحًا باهرًا، إذا تمكن من اتباعها. سيلقىٰ عموده رواجًا كبيرًا وسيتعلم العالم كله الحب. سوف تأتي مملكة السماء، وسوف يجلس عن يمين الحَمَل.

ولكن حقًا، حيث أدرك ذلك، حتىٰ لو لم يجعل شرايك من تقديم وجهة نظر عاقلة حول مسألة المسيح هذه أمرًا مستحيلًا، فلن

تكون ثمة فائدة تذكر من خداعه لنفسه. عندما كان صبيًّا في كنيسة والده، وجد في نفسه شيئًا يتحرك كلما صرخ باسم المسيح، شيئًا سريًّا وقويًّا للغاية. لقد لعب بهذا الشيء، لكنه لم يسمح له بالحياة أبدًا.

عرف الآن ما كان ذاك الشيء: الهستيريا، ثعبان حراشفه مرايا صغيرة يتقمص فيها الموتىٰ أحد مظاهر الحياة. وكم هو ميت هذا العالم . . . عالم مقابض الأبواب. وقد تساءل عما إذا كانت الهستيريا ثمنًا حادًا جدًّا لِيُدفع لقاء الإتيان به إلىٰ الحياة.

كان المسيح، بالنسبة إليه، أكثر أنواع الإثارة طبيعيةً. بدأ في الغناء وقد ثبت عينيه علىٰ الصورة التي كانت معلقة علىٰ الجدار: «المسيح، المسيح، يسوع المسيح، المسيح، المسيح، يسوع المسيح». ولكن أخذه الفزع في اللحظة التي بدأ الثعبان ينحلُّ داخل دماغه وأغلق عينيه.

ومع النوم، رأىٰ في منامه أنَّه علىٰ خشبة مسرح مزدحم. كان ساحرًا يقوم بالخدع مستعملًا مقابض الأبواب. وبأمره ينزفون الدم، يُزهرون، يتحدثون. وبعد انتهاء عرضه حاول أن يقود جمهوره في الصلاة. ولكن علىٰ الرغم من شدة مجاهدته، كانت صلاته تلك الصلاة التي لقنه إياها شرايك وأشبه صوته صوت سائق القطار ينادي علىٰ المحطات.

«آهٍ يا رب، نحن لسنا من أولئك الذين يغسلون وجوههم في

النبيذ أو الماء أو البول أو الخل أو الزيت أو النفط أو رم الخليج أو الحليب أو شراب البراندي أو حمْض البُورِيك. آهٍ يا رب، نحن من أولئك الذين يغتسلون فقط في دماء الحمَل».

لقد تغير مشهد الحلم، ووجد نفسه في مبيته الجامعي. كان معه ستيف غارفي وجود هيوم، وكانا يتلاحيان في وجود الله منذ منتصف الليل وحتىٰ بزوغ الفجر، والآن بعد أن نفذ شراب الويسكي، قرروا الذهاب إلىٰ السوق من أجل بعض شراب التفاح.

قادهم طريقُهم خلال شوارع المدينة النائمة ومن ثَمَّ إلىٰ الحقول المفتوحة بالخارج. لقد كان فصل الربيع، وقد جددت رائحة ولادة الخضر حالة سُكرهم فتهادوْا بين العربات المحملة. تقبل المزارعون ضجيجهم بإحسان الظنِّ بهم. فتية جامعيون منهمكون في مرح صاخب.

وجدوا مروجًا للخمور فاشتروا وعاء سعته غالون من شراب التفاح، وتجولوا في القسم الذي تُباع فيه المواشي. توقفوا للعب مع بعض الحملان. اقترح جود أن يبتاعوا أحدها ليقوموا بشوائه علىٰ النار في الغابة. وافق **الآنسة القلوب الوحيدة** ولكن شريطة أن يقرِّبوه قربانًا لله قبل شوائه.

أُرسل ستيف إلىٰ موقف بيع السكاكين ليقتني سكين جزار، في حين بقي الآخرون للمفاوضة علىٰ الحمَل. بعد جدال أرميني أبدىٰ

خلاله جود تدريبه الزراعي، تم اختيار الأصغر؛ شيء صغير صلب القدمين، رأسٌ كله.

لقد تفاخروا بالحمل خلال مرورهم بالسوق. ذهب **الآنسة القلوب الوحيدة** أولًا حاملًا السكين، وتبعه الآخرون، ستيف حاملًا الوعاء وجود الحيوان. خلال سيرهم، أنشدوا نسخة فاحشة من «كان لماري حمل صغير».

بين السوق واليافطة التي كانوا يعتزمون أداء التضحية عندها كان ثمة مَرْج. وعندما مروا خلاله، قاموا بقطف أزهار الحوذان والأقحوان. في منتصف الطريق أعلىٰ التل، وجدوا صخرة وغطوها بالزهور ووضعوا الحمل وسط الزهور. تم انتخاب **الآنسة القلوب الوحيدة** كاهنًا، وستيف وجود هم مريدوه. في الوقت الذي حملوا فيه الحمَل، جثم **الآنسة القلوب الوحيدة** علىٰ ركبتيه وبدأ ينشد.

«المسيح، المسيح، يسوع المسيح. المسيح، المسيح، يسوع المسيح».

وعندما دخلوا في نوبة من الجنون، أحضر سكينًا صارمة. كانت الضربة غير دقيقة وأحدثت جرحًا بسيطًا. رفع السكين مجددًا وهذه المرة جعلته صراعات الحمل العنيفة يخطئ تمامًا. تكسر السكين علىٰ المذبح. جذب ستيف وجود رأس الحيوان إلىٰ الخلف لينشُر حلقه، غير أنَّه لم يبق في المقبض سوىٰ قطعة صغيرة

من النصل ولم يستطع قطع الصوف المتلبِّد.

كانت أيديهم مغطاة بالدماء اللزجة وتفلَّت الحمل، وزحف شَطْر الدَّغل.

وبتخطيط الشمس المشرقة لصخرة المذبح بظلال ضيقة، بدا وكأنَّ المشهد جمع لنفسه بعضًا من العنف الجديد. فزعوا هربًا في اتجاه أسفل التل حتىٰ وصلوا إلىٰ المرج، حيث سقطوا من التعب بين الأعشاب الطويلة.

بعد مرور بعض الوقت، توسل إليهم **الآنسة القلوب الوحيدة** كي يعودوا ويخلصوا الحمل من بؤسه. رفضوا الذهاب. فعاد وحده ووجده تحت شجيرة. سحق رأسه بحجر وترك جثته للذباب الذي احتشد حول زهور المذبح الدموية.

• الآنسة القلوب الوحيدة والإبهام البدين

وجد **الآنسة القلوب الوحيدة** نفسه يطوِّر حساسية مجنونة تجاه النظام. كان ينبغي لكل شيء أن يشكل نمطًا: الأحذية تحت السرير، وربطات العنق علىٰ الحمَّالة، وأقلام الرصاص علىٰ الطاولة.

عندما نظر عبر النافذة، شكَّل الأفق بموازنة مبنىٰ بمبنىٰ آخر. فإذا طار طائر عبر هذا الترتيب، فإنَّه يغلق عينه بغضب إلىٰ أن يذهب.

لبرهة من الزمن، بدا وكأنَّه قد ثبت قائمًا لكنه وجد نفسه مسندًا ظهره إلىٰ الحائط. في ذلك اليوم، استحوذت كل الجمادات التي حاول السيطرة عليها علىٰ المجال ضده. فإذا ما لمس شيئًا، فإنَّه ينسكب أو يتدحرج علىٰ الأرض. اختفت أزرار الياقة تحت السرير، انكسر طرف قلم الرصاص، سقطت يد شفرة الحلاقة، ورفض ظل النافذة أن يظل منخفضًا. لقد قاوم، لكن بعنف شديد، وهُزم بحلول ربيع المنبه.

هرب إلىٰ الشارع، غير أنَّ الفوضىٰ هناك كانت مضاعفة. تجاوزته مجموعات بشرية محطمة مسرعة، ولم تتخذ لا شكل النجوم ولا شكل المربعات. كانت أعمدة الإنارة متباعدة بشكل رديء واتخذ بلاط الرصيف أحجامًا مختلفة. ولم يكن بوسعه فعل أي شيء بشأن صوت الرنين الحاد للسيارات في الشارع والصيحات الحماسية للباعة المتجولين. ليس باستطاعة أي مجموعة كلمات متكررة أن تتناسب مع الإيقاع، وما من ميزان يمكنه أن يمنحهم معنىٰ.

وقف بهدوء مستندًا إلىٰ حائط، محاولًا ألا يرىٰ وألا يسمع. ثم تذكر بيتي. لقد جعلته غالبًا يحس بأنها عندما كانت تصلح ربطة عنقه، كانت تصلح أكثر من ذلك بكثير. وكما اعتقد مرة أنَّه لو كان عالمها أوسع، كان هو العالم، كان يمكنها أن ترتبه بشكل نهائي كما الأشياء علىٰ مُزينتها.

أعطىٰ عنوان بيتي لسائق سيارة أجرة وطلب منه أن يسرع. لكنها كانت تعيش علىٰ الجانب الآخر من المدينة وبحلول وقت وصوله، كان ذعره قد تحول إلىٰ حَنَقٍ.

جاءت إلىٰ باب شقتها في مِبْذل متموج من كتان أبيض يميل اصفرار لونه إلىٰ اللون البني عند الحواف. مدت كلتا يديها إليه وظهرت ذراعها مستديرة وناعمة مثل الخشب الذي فعل فيه البحر فعله.

وبرجوع الوعي الذاتي، علِم أنَّ العنف فقط هو ما يمكن أن يجعله مرِنًا. ومع ذلك فقد كانت بيتي هي التي انتقدها. عالمها لم يكن العالم ولا يمكنه أن يشمل قراء عموده. استند يقينها علىٰ القدرة علىٰ الحد من التجربة بشكل تعسفي. علاوة علىٰ ذلك، كان ارتباكه شديدًا، في حين لم يكن ترتيبها كذلك.

حاول الرد علىٰ تحيتها، فاكتشفت أنَّ لسانه قد أصبح إبهامًا بدينًا. ولكي يجتنب الحديث، أرغمها علىٰ قبلة برعونة، ثم وجد أنَّه من الضروري الاعتذار.

«كثيرة هي شؤون عودة المحب، أعلم، وأنا . . .» وتعثر عامدًا لكي تعتبر ارتباكه علىٰ أنه شعور صادق. إلَّا أنَّ الحيلة قد فشلت وانتظرته ليكمل حديثه:

«أرجو أن تتناولي العشاء معي».

«أنا خائفة لا أستطيع».

انقلب تبسمها ضحكًا.

كانت تضحك منه. دفاعًا عنها، بحث في ضحكتها عن «مرارة»، «رغبة-محتقنة»، «قلب-منكسر»، «الشيطان قد-يهتم». ولكنه احتار فلم يجد شيئًا يضحك منه في المقابل. تفتحت ابتسامتها بشكل طبيعي، وليس كالمظلة، وعندما كان يشاهدها تضحك انطوىٰ ضحكها وتحول إلىٰ ابتسامة مرة أخرىٰ، ابتسامة ليست «عابسة» ولا «ساخرة» ولا «غامضة».

وازداد حَنَقه مع انتقالهما إلىٰ غرفة الجلوس. جلست هي علىٰ الأريكة مبقية ساقيها العاريتين في الأسفل وظهرها مستقيمًا. خلفها كانت هناك شجرة فضية قد أزهرت في ورق الجدران الليموني. بقيَ هو واقفًا.

قال: «بيتي بوذا، بيتي بوذا لديك ابتسامة شخص معتدٍ بنفسه، كل ما تحتاجينه هو وعاء البطن».

كان صوته مليئًا بالكراهية حتىٰ إنَّه هو نفسه قد فوجئ بذلك. تململ لبرهة من الزمن في صمت وفي النهاية جلس بجانبها علىٰ الأريكة ليمسك يدها.

لقد مر أكثر من شهرين منذ أن جلس معها علىٰ هذه الأريكة نفسها وطلب منها الزواج. في ذلك الوقت كانت قد وافقت

وخطّطا لحياتهما بعد الزواج: وظيفته ومئزرها المصنوع من الجنجهام، نعليه بجانب الموقد وقدرتها علىٰ الطبخ. لقد تجنبها منذ ذلك الحين. لم يشعر بالذنب؛ كان فقط منزعجًا من التفكير في أنَّ مثل هذا الحل كان ممكنًا.

سرعان ما سئم من الإمساك بيديها وبدأ يتململ مرة أخرىٰ. تذكر أنَّه في نهاية زيارته الأخيرة وضع يده داخل ثيابها. وقد أعاد الآن الحركة نفسها لعجزه عن التفكير في أي شيء آخر يفعله. كانت عارية تحت مئزها ووجد ثدييها.

لم تقم بأي حركة لتظهر أنها قد تفطنت ليده. كان ليرحب بصفعة، لكن حتىٰ عندما أمسك بحَلَمتها، ظلت صامتة.

«دعيني أقتلع هذه الوردة»، قال ذلك وقد جبذها جبذة شديدة. «أريد أن أرتديها علىٰ عروتي».

مدت بيتي يدها إلىٰ جبينه وسألته: «ما الأمر؟ هل أنت مريض؟».

بدأ في الصراخ في وجهها، تصحب صيحاته حركات كانت مناسبة جدًّا، مثل حركات ممثل قديم الطراز.

«أيَّةُ عاهرة أنت. بمجرد أن يتصرف المرء بشراسة، تقولين إنَّه مريض. المعذبون لزوجاتهم والمغتصبون للأطفال الصغار، كلهم مرضىٰ بالنسبة إليك. ليس هناك أخلاق، الدواء فقط. حسنًا، أنا

لست مريضًا ولست بحاجة إلىٰ الأسبرين اللعين الذي تقديمنه. عندي عقدة المسيح. الإنسانية ... أنا محب للإنسانية. كل أولئك الأوغاد المحطمون ...»، وأنهىٰ حديثه بضحكة قصيرة بدت مثل نباح الكلب.

تركت الأريكة وجلست علىٰ كرسي أحمر اللون منتفخ بالحشو ومشدود بيايات حية. في حضن هذا الوحش الجلدي، اختفىٰ كل أثر لهدوء بوذا.

غير أنَّ غضبه لم يسكن بعدُ. «ما الخطب حبيبتي؟»قال ذلك وهو يربت علىٰ كتفها مهدئًا. «ألم يرق لك العرض؟».

عوض أن تجيبه، رفعت ذراعها وكأنها ترد ضربة عن نفسها. كانت كالقطة التي يجعل عجزها الناعم المرء يتألم لإيذائها.

«ما الخطب؟»سأل مرارًا وتكرارًا. «ما الخطب؟ ما الخطب؟».

اتخذ وجهه ملامح مقامر غرٍّ علىٰ وشك المخاطرة بكل شيء في رمية أخيرة. كان يلتفت إلىٰ قبعته عندما تكلمت.

«أحبك».

«ماذا؟».

لقد هيَّجتها الحاجة إلىٰ التكرار، لكنها تمكنت من الحفاظ علىٰ عدم دراماتيكية أسلوبها.

«أحبك».

فقال: «أحبك أنا أيضًا، أنت وضحكك اللعين من خلال الدموع».

«لماذا لا تدعني وشأني؟» وكانت قد بدأت بالبكاء. «لقد شعرت بأني أنيقة قبل مجيئك، والآن أشعر بأني قذرة. اذهب، أرجوك أن تذهب».

• الآنسة القلوب الوحيدة والعجوز النظيف

في الشارع مرة أخرىٰ، تساءل **الآنسة القلوب الوحيدة** ماذا ينبغي أن يفعل بعد ذلك. كان متحمسًا جدًّا ليأكل وخائفًا من الذهاب إلىٰ البيت. أحسَّ وكأن قلبه قنبلة، قنبلة معقدة سوف تؤدي إلىٰ انفجار بسيط، يدمر العالم دون أن يهزه.

قرر أن يذهب إلىٰ حانة دليهانتي ليحتسي شرابًا. اكتشف في الحانة مجموعة من أصدقائه عند المشرب. سلموا عليه واستمروا في الحديث. كان أحدهم يشكو من عدد الكاتبات.

قال: «وكلهن لديهن ثلاثة أسماء، ماري روبرتس ويلكوكس، إيلا ويلر كاثيتير، وفورد ماري رينهارت ...».

ثم بدأ أحدهم قطارًا من القصص، حيث اقترح أنَّ كل ما كانوا بحاجة إليه هو اغتصاب جيد فحسب.

«كنت أعرف فتاة كانت عادية حتىٰ انضمت إلىٰ مجموعة وصارت أديبة. بدأت بالكتابة في المجلات الصغيرة حول كم

يؤذيها الجمال وتخلت عن صديقها الذي كان يعمل في إعداد المسامير في صالة البولينغ. سئم منها الشباب في الحي فأخذوها إلىٰ الخِرَبِ في إحدىٰ الليالي، حوالي ثمانية منهم، واغتصبوها بشكل جيد . . .».

«هذه مثل القصة التي يروونها عن كاتبة أخرىٰ. عندما جاءت هذه الأشياء المتعلقة بالشخص الشديد[1]، تخلت عن خدعة اللهجة الإنجليزية وآثرت العاميَّة. كان عليها أن تتسكع مع أشخاص عديدين في مباحثة لجمع المادة لإحدىٰ الروايات. حسنًا، لم يعلم أولئك الأشخاص أنَّه كان يتم تصويرهم وكانوا يظنونها شخصًا عاديًا حتىٰ أعلمهم النادل. أخذوها إلىٰ الغرفة الخلفية ليعلموها كلمة جديدة وليضاجعوها قسرًا. لم يسمحوا لها بالذهاب لمدة ثلاثة أيام. في اليوم الأخير، باعوا التذاكر للزنوج».

توقف الآنسة القلوب الوحيدة عن الاستماع إليهم. سوف يستمر أصدقاؤه في رواية هذه القصص إلىٰ أن يعجزهم السكر عن الكلام. كانوا علىٰ علم بصبيانياتهم، لكنهم لم يعرفوا سبيلًا آخر

(١) hard-boiled أو Hardboiled هو فرع عن القصص البوليسية ازدهر في فترة الخمسينيات في الولايات المتحدة حيث لا يقوم البطل بحلِّ الجرائم فحسب؛ وإنما يتعرض إلىٰ كمٍّ هائل من العنف وهذا يصقله ويجعله أشد وأقسىٰ بكثير من البطل في القصص البوليسية التقليدية. من أرباب هذا الضرب من الرواية: كارول جون دالي وداشيال هامات وجايمس كاين ورايموند تشاندلر.

ليثأروا لأنفسهم. في الجامعة، وربما لمدة عام بعد ذلك، كانوا يؤمنون بالأدب، يؤمنون بالجمال وبالتجربة الخاصة كغاية مطلقة. وعندما فقدوا هذا الإيمان، فقدوا كل شيء. فلم يعن المال والشهرة شيئًا لهم. لم يكونوا أبناء هذه الدنيا.

شرب الآنسة القلوب الوحيدة بثبات. كان يبتسم ابتسامة بريئة ومسلية، ابتسامة أناركيّ جالس في قاعة السينما وفي جيبه قنبلة. لو علم الناس من حوله ماذا كان في جيبه. سوف يغادر بعد قليل ليقتل الرئيس.

لم يتوقف عن التبسم إلّا عندما سمع اسمه وبدأ ينصت مرة أخرىٰ.

«إنه لاعق للمجذومين كما يقول شرايك، يريد لعق المجذومين، أيها النادل، هات مجذومًا للسيد المحترم».

«إن لم يكن لديك مجذوم، فأعطه هنغاريا».

«حسنًا، تلك هي المشكلة مع نهج الرب هذا. اللعنة، إنها أدبية جدًّا: أغنية بسيطة، شعر لاتيني، رسومات من القرون الوسطىٰ، هيوسمن[1]، نوافذ ملونة ومثل هذا الغثاء».

«حتىٰ وإن امتلك تجربة دينية حقيقية، فستكون شخصية

---

(١) هو الروائي الفرنسي المعروف بجوريس كارل هيوسمن، ولد في باريس سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٩٠٧.

وبالتالي بلا معنىٰ، إلَّا بالنسبة إلىٰ عالم النفس».

«إنَّ مشكلته، مشكلتنا نحن جميعًا، أننا لا نمتلك حياة خارجية، لدينا فقط حياة داخلية، وذلك بالضرورة».

«إنَّه انهزامي. يريد أن يهذب حديقته الداخلية. لكن لا يمكنك الهروب، فأين يمكنه أن يذهب ليجد سوقًا لفواكه شخصيته؟ لقد كان مجلس المزرعة فاشلًا».

«كل ما أقوله هو أنَّ علىٰ المرء قبل كل شيء أن يكسب لقمة العيش. لا يمكن أن نؤمن كلنا بالمسيح، وماذا يفعل المزارع بالاعتناء بالفن؟ نزع حذاءه ليستشعر دفء التربة الغنية بين أصابع قدميه. لا يمكنك أن تنزع أحذيتك في الكنيسة».

بدأ الآنسة القلوب الوحيدة يبتسم مجددًا. لقد كانوا مثل شرايك، الرجل الذين قلدوه، آلات لإنتاج الدعابات. إنَّ آلة صنع الأزرار تصنع الأزرار، بغض النظر عن الطاقة المستخدمة، سواء كانت القدم أم البخار أم الكهرباء. وهم، بغض النظر عن القوة المحفزة: الموت، الحب أو الله، يمزحون.

سأل نفسه: «هل كان الهراء الذي جاؤوا به الحاجز الوحيد؟ هل أحبطته مثل هذه العقبة الصغيرة؟».

كان شراب الويسكي جيدًا وقد غادر يكتنفه الدفء والثقة. من خلال دخان التبغ الأزرق الفاتح، أشرقت حانة الماهوجاني مثل

الذهب الرطب. لقد دقت الكؤوس والزجاجات بأضوائها العالية المنفجرة مثل بطارية أجراس صغيرة عندما يضرب النادل بعضها بالبعض الآخر. نسيَ أنَّ قلبه كان قنبلة موقوتة ليتذكر حادثة من أيام طفولته. في ليلة من ليالي الشتاء، كان هو وأخته الصغيرة ينتظران والدهما كي يعود من الكنيسة. كان عمرها ثماني سنوات آنذاك وكان هو في العاشرة. بسبب الشعور بالحزن الذي تملَّكه خلال الاستراحة بين اللعب والأكل، اتجه إلىٰ البيانو وبدأ في عزف قطعة موسيقية لموزارت. كانت تلك المرة الأولىٰ التي ذهب فيها إلىٰ البيانو طواعية. تركت أخته كتاب الصور الخاص بها لترقص علىٰ الموسيقىٰ التي كان يعزفها. لم ترقص من قبل، ولكنها رقصت بوقار وحذر، رقصة بسيطة لكنها رسمية ... وبوقوف **الآنسة القلوب الوحيدة** عند المشرب متمايلًا مع الموسيقىٰ التي طرقت ذاكرته، تفكر في الأطفال الذين يرقصون. مربع يُستبدل بمستطيل تحلُّ محله دائرة. كل طفل، في كل مكان؛ ليس ثمة طفل واحد في العالم كله لم يرقص بوقار ورقة.

ابتعد عن المشرب فاصطدم خطأً برجل يحمل كأسًا من الجعة. عندما التفت ليعتذر من الرجل، استقبل لكمة علىٰ فمه. وجد نفسه لاحقًا علىٰ طاولة في الغرفة الخلفية يلعب بسن سائبة. تساءل لماذا قبعته لم تناسبه فاكتشف وجود تورم في الجزء الخلفي من رأسه. لا بدَّ أنَّه سقط وكانت العقبة أعلىٰ مما كان يعتقد.

تأرجح غضبه في دوائر سُكرٍ كبيرة. بحق المسيح أي شيء مسألة المسيح هذه؟ والأطفال الذين يرقصون بوقار؟ سوف يطلب من شرايك أن يُنقل إلىٰ قسم الرياضة.

جاء نيد غيتس ليطمئن عليه واقترح عليه الخروج إلىٰ الهواء النقي. كان غيتس سكرانًا للغاية. وعندما خرجا من الحانة، كان الثلج يتساقط.

تنامىٰ غضب الآنسة القلوب الوحيدة ليصبح باردًا ورطبًا مثل الثلج. ترنَّح هو ورفيقه ورؤوسهم إلىٰ الأسفل، متجولين في الأزقة بلا هُدًىٰ، إلىٰ أن وجدا نفسيهما أمام الحديقة الصغيرة. كانت هناك نارٌ تشتعل داخل محطة الراحة فذهبا ليتدفآ.

كان هناك رجل عجوز يجلس علىٰ أحد المراحيض. كان باب مقصورته مفتوحًا علىٰ مصراعيه وكان يجلس علىٰ غطاء المرحاض المقلوب.

حيَّاه غيتس. «تتقلب في النعم، هاه؟».

قفز العجوز فزعًا، لكنه استطاع في نهاية الأمر أن يتكلم. «ماذا تريد، دعني وشأني أرجوك».

كان صوته مثل صوت الناي؛ لم يهتز.

أنشد غيتس: «إن لم تستطع الحصول علىٰ امرأة، احصل علىٰ عجوز نظيف».

بدا العجوز كما لو كان علىٰ وشك البكاء، ولكنَّه بدلًا من ذلك ضحك بشكل مفاجئ. أخذه سعال رهيب من تحت ضحكه وصولًا إلىٰ الجزء السفلي من رئتيه، لقد مزق حنجرته. التفت بعيدًا ليمسح فمه.

حاول الآنسة القلوب الوحيدة إقناع غيتس بالرحيل لكنه أبىٰ الذهاب دون العجوز. أمسكاه وأخرجاه من المقصورة إلىٰ باب محطة الراحة. لان في أيديهما وبدأ يقهقه. غالَبَ الآنسة القلوب الوحيدة الرغبة في ضربه.

توقف تساقط الثلج وأصبح الجو باردًا جدًّا. لم يكن للعجوز معطف، لكنه زعم أنَّه وجد البرد مبهجًا. حمل العصا وارتدىٰ القفازات لأنَّه، كما قال، يكره اليدين الحمراوتين.

بدلًا من الذهاب إلىٰ دليهانتي، قصدوا مخزنًا إيطاليًا للخمور قريبًا من الحديقة. حاول العجوز حملهم علىٰ شرب القهوة، إلَّا أنهما قد أخبراه أن يهتم بشؤونه وشربا شراب الجاودار. أحرق الويسكي شفة الآنسة القلوب الوحيدة المجروحة.

انزعج غيتس من آداب السلوك المتقنة التي تحلىٰ بها العجوز، وقال له: «اسمع أنت، دعك من تصرفات النبلاء واحكِ لنا قصة حياتك».

نفخ العجوز نفسه مثل فتاة صغيرة تظهر عضلاتها.

قال غيتس: «آهٍ، دعك من هذا، نحن علماء، هو هافلوك إليس وأنا كرافت أبينغ. متىٰ اكتشفت لأول مرة ميولاتك نحو المثليَّة؟».

«ماذا تقصد يا سيدي؟ أنا . . .».

«أجل، أعلم، ماذا عن اختلافك عن الرجال الآخرين؟».

«كيف تجرؤ . . .» وصرخ صرخة امتعاض صغيرة.

قال **الآنسة القلوب الوحيدة**: «الآن، الآن. هو لم يقصد أن يهينك، لكن العلماء لديهم سلوك سيئ بشكل رهيب . . . لكنك منحرف، أليس كذلك؟».

رفع العجوز عصاه ليضربه. أمسكها غيتس من الخلف وانتزعها من يده. أخذ في السعال بشدة وأمسك ربطة عنقه المعمولة من الساتان الأسود إلىٰ فمه. وجرَّ نفسه وهو يسعل إلىٰ كرسي في الجزء الخلفي من الغرفة.

شعر **الآنسة القلوب الوحيدة** كما شعر قبل عدة سنوات عندما داس ضفدعًا صغيرًا عن غير قصد. لقد ملأته أحشاؤه المهراقة بالشفقة، ولكن عندما أدركت حواسه أنَّ معاناته كانت حقيقية، تحولت شفقته إلىٰ غضب وضربه بشكل مسعور حتىٰ مات.

قال صارخًا: «سوف آتي بقصة حياة ذلك الوغد». ثم لحقه. واتبعه غيتس ضاحكًا.

عند إدراكه لمخططتهم، قفز العجوز علىٰ قدميه. أمسكه الآنسة القلوب الوحيدة وأجبره علىٰ العودة إلىٰ كرسيه.

قال: «نحن علماء نفس، نريد أن نساعدك. ما اسمك؟».

«جورج ب. سيمسون».

«ماذا تعني ب؟».

«برامهال».

«عمرك، من فضلك، وطبيعة سعيك؟».

«بأي حق تطرح هذه الأسئلة».

«العلم يمنحني الحق».

قال غيتس: «دعونا نسقطه، إنَّ ذاك العجوز التعيس علىٰ وشك البكاء».

«لا، يا كرافت أبينغ، لا ينبغي أن يُسمح للعاطفة بأن تتدخل في مصادر العلم».

وضع الآنسة القلوب الوحيدة يده حول العجوز. «أخبرنا قصة حياتك»، قال ذلك وهو يشحن صوته بالعاطفة.

«ليس لدي أية قصة».

«لا بدَّ أن يكون لديك قصة. كل إنسان لديه قصة حياة».

بدأ العجوز في النحيب.

«أجل، أعلم، قصتك قصة حزينة. أخبرنا، تبًا لك، أخبرنا».

عندما كان العجوز لا يزال صامتًا، أخذ ذراعه ولواها. حاول غيتس أن يبعده، لكنه رفض أن يتركه. كان يلوي ذراع كل المرضىٰ والبؤساء، المحطمين والمخذولين، والأعيياء والعجزة. كان يلوي ذراع اليائسة، ومنكسرة القلب، وسئمتُ من كل شيء، والمحبطة من الزوج المسلول.

بدأ العجوز في الصراخ. وضرب أحدهم الآنسة القلوب الوحيدة بكرسي من الخلف.

● الآنسة القلوب الوحيدة والسيدة شرايك

استلقىٰ الآنسة القلوب الوحيدة علىٰ سريره في كامل أناقته، تمامًا مثلما رُميَ به الليلة السابقة. أحسَّ بألم في رأسه ودارت أفكاره داخل الألم مثل عجلة داخل عجلة. عندما فتح عينيه، دارت الغرفة، مثل عجلة ثالثة، داخل الألم في رأسه.

كان بإمكانه رؤية المنبه من المكان الذي كان مستلقيًا فيه. كانت الساعة الثالثة والنصف.

عندما دق جرس الهاتف، زحف للخروج من كومة ملابس السرير الحامضة.

أراد شرايك أن يعرف ما إذا كان ينوي القدوم إلىٰ المكتب. فأجاب بأنَّه كان مخمورًا لكنه سيحاول القدوم.

خلع ثيابه ببطء واغتسل، لقد جعل الماء الساخن جسمه يشعر بشعور جيد، بيد أنَّ قلبه ظلَّ كتلة متخثرة من الدهون المتجمدة. بعد أن جفف نفسه، وجد قليلًا من الويسكي في خزانة الأدوية فشربه. لم تُدفئ الكحول سوىٰ بطانة معدته.

حلق لحيته، ولبس قميصًا نظيفًا وبذلة مكوية بشكل منعش وخرج ليتناول شيئًا. عندما أنهىٰ كأسه الثاني من القهوة الحارقة، كان الوقت متأخرًا جدًّا للذهاب إلىٰ العمل. لكن لم يكن ثمة داع للقلق، فشرايك لن يطرده أبدًا. لقد كان غرضًا مثاليًا للغاية لتلقي دعابات شرايك. حاول مرة أن يتسبب لنفسه في الطرد من عمله حيث أوصىٰ أحدهم بالانتحار في عموده. كان كل ما قاله شرايك: «أرجو أن تتذكر أنَّ وظيفتك أن تزيد في انتشار صحيفتنا. إنَّه من المعقول أن نفكر في الانتحار علىٰ أنَّه مثبط لهذا الهدف».

دفع ثمن فطوره وغادر المطعم. قد تدفئه بعض التمارين الرياضية. قرر أن يقوم بجولة منعشة، لكنه سرعان ما أصابه التعب، وعندما وصل إلىٰ الحديقة الصغيرة؛ انحدر إلىٰ المقعد قبالة مِسلَّة الحرب المكسيكية.

ألقىٰ الحجر العمودي بظلٍ سامقٍ صلدٍ علىٰ الممر أمامه. جلس يحدق به دون معرفة السبب الذي حمله علىٰ ذلك إلىٰ أن لاحظ أنَّه كان يستطيل بهزات سريعة لا كما تفعل الظلال عادة. تملكه الفزع ورفع بصره بسرعة إلىٰ الأعلىٰ لينظر إلىٰ النصب. بدا

أحمر اللون ومنتفخًا في ضوء الشمس الخافت، كما لو كان علىٰ وشك أن تنبجس منه حمولة من بذور الجرانيت.

ولّىٰ مبتعدًا. وعندما عاد إلىٰ الشارع مجددًا؛ أخذ في الضحك. فرغم أنَّه قد جرب الماء الساخن، القهوة، التمارين الرياضية؛ إلَّا أنَّه قد نسيَ الجنس تمامًا. ما كان في حاجة ماسة إليه هو الحصول علىٰ امرأة. ضحك مجددًا عندما تذكر أنَّ جميع أصدقائه في الجامعة كانوا يعتقدون أنَّ للجماع أثرًا في تهدئة الأعصاب، واسترخاء العضلات، وتصفية الدم.

لكنه لم يكن يعرف سوىٰ امرأتين يمكنهما تحمله. كان قد أفسد فرصه مع بيتي؛ لذا كان يجب أن تكون ماري شرايك.

عندما قبَّل زوجة شرايك؛ كان شعوره بأنَّه مثير للسخرية في أدنىٰ درجاته. بادلته القبلات لكرهها شرايك. ولكن حتىٰ في ذلك الموضع فقد هزمه شرايك. فعلىٰ الرغم من شدة توسله أن تجلب العار علىٰ شرايك؛ إلَّا أنها رفضت أن تعاشره.

رغم أنَّ ماري كثيرًا ما همهمت وقلَّبت عينيها؛ فإنها لن تربط ما أحست به بنشاط جنسي. وعندما تعسف في إقامة هذه الصلة؛ استشاطت غضبًا. كان مقتنعًا بأنَّ همهمتها كانت صادقة من خلال التغيير الذي طرأ عليها عندما قبَّلها بشدة. ثم انبعثت من جسدها رائحة أثْرَت عبق الزهور الاصطناعي الذي كانت تضعه خلف أذنيها وفي تجاويف عنقها. لم يطرأ علىٰ جسده تغيير مماثل. كالرجل

الميت، لم يدفئه سوىٰ الاحتكاك ولم يحركه سوىٰ العنف.

قرر أن يحتسيَ بعض الشراب ثم يتصل بماري من حانة دليهانتي. كان الوقت مبكرًا جدًّا، وكانت الحانة خالية. لبَّىٰ النادل طلبه ثم عاد إلىٰ صحيفته.

كان هناك علىٰ المرآة خلف المشرب لافتة إشهارية معلقة حول نوع من المياه المعدنية. وقد أظهرت فتاة عارية جعلها البخار الصاعد من النهر عند قدميها محتشمة. لقد تكلف الفنان قدرًا هائلًا من العناية في رسم ثدييها وحلمتيها البارزتين مثل قبعات حمراء صغيرة.

حاول أن يثير نفسه ليبدوَ حريصًا وذلك بالتفكير في العرض الذي قدمته ماري بثدييها. لقد استخدمتهما كما استخدمت المغانيج المعجبين بهنَّ منذ زمن غابر. كانت إحدىٰ خدعها أن تلبس ميدالية متدلية علىٰ صدرها. وكلما طلب رؤيتها، بدل أن تسحبها كانت تنحني له لينظر. رغم أنَّه طلب رؤية الميدالية كثيرًا؛ إلَّا أنَّه لا يعلم حتىٰ الآن ما كانت دلالتها.

غير أنَّ الإثارة أبت أن تزوره. لو أحسَّ بشيء، فإنَّه قد أحسَّ ببرودة أكثر مما كان عليه حاله قبل أن يبدأ في التفكير في النساء. لم يكن ذاك سبيلًا له. ومع ذلك فقد أصرَّ علىٰ ذلك، بدافع اليأس، واتجه إلىٰ الهاتف ليتصل بماري.

«هذا أنت؟» ثم أضافت قبل أن يتمكن من الرد، «يجب أن

أراك الآن. لقد تشاجرت معه وانتهىٰ الأمر هذه المرة».

كان حديثها دومًا في شكل عناوين الصحف وقد أجبره شعورها بالإثارة علىٰ التصرف بشكل عادي. قال: «حسنا، متىٰ وأين؟».

«في أي مكان، لقد انتهيت من ذلك الوضيع، أقول لك، لقد انتهيت».

لقد تشاجرت مع شرايك من قبل، وكان يعلم أنَّه لقاء عددٍ عادي من القبلات يجب عليه أن يستمع إلىٰ عدد غير عادي من الشكاوىٰ.

سألها: «هل تريدين أن نلتقي في دليهانتي؟».

«لا، تعال أنت إلىٰ هنا. سوف نكون بمفردنا وعلىٰ كل حال يجب أن أغتسل وأرتدي ثيابي».

عند وصوله إلىٰ منزلها، ربما كان سيجد شرايك هناك وهي في حضنه. وسيسرَّان برؤيته وسيذهب ثلاثتهم إلىٰ قاعة السينما حيث ستمسك ماري بيده تحت المقعد.

عاد إلىٰ الحانة ليحتسيَ شرابًا آخر، ثم اشترىٰ ربع غالون من شراب السكوتش واستقل سيارة أجرة. فتح شرايك الباب، ورغم أنَّه توقع رؤيته، فقد كان محرجًا وغطىٰ ارتباكه بالتظاهر بأنَّه في حالة سكر شديد.

«تعال، تعال، أيها المتطفل»، قال شرايك ذلك ضاحكًا.

«سوف تخرج السيدة في غضون دقائق معدودة، إنها في حوض الاستحمام».

أخذ شرايك الزجاجة التي كان يحملها وانتزع سدادتها. ثم أتىٰ بالقليل من المياه الغازية وجهز كأسين من شراب الويسكي بالصودا.

قال شرايك رافعًا كأسه: «حسنًا، تستهويك مثل هذه الأشياء، هاه؟ الويسكي وزوجة الرئيس؟».

وجد الآنسة القلوب الوحيدة أنَّه من المستحيل إجابته. كانت الإجابات التي أرادها عامة جدًّا وقد بدأت منذ زمن بعيد جدًّا في تاريخ علاقتهما.

قال شرايك: «أراك تقوم بعمل ميداني، لا تضع الويسكي علىٰ حساب نفقاتك. ومع ذلك، فإننا نود أن نرىٰ شابًا قلبه معلق بعمله. كنتَ تتجول هنا وهناك وعملك معلق بفمك».

قام الآنسة القلوب الوحيدة بمحاولة يائسة ليرد عليه فقال: «وأنت عجوز قذر شحيح ضرَّاب لزوجتك».

ضحك شرايك طويلًا وبصوت عالٍ، ثم تنهد باستفاضة وقال: «آهٍ يا فتىٰ، أنت مخطئ. ماري هي التي تقوم بالضرب».

أخذ شفطة طويلة من كأسه ثم تنهد باستفاضة أكبر. «صديقي

العزيز، أريد أن أتحدث معك حديثًا من القلب إلىٰ القلب. إني أعشق المحادثات التي تكون من القلب إلىٰ القلب، وفي هذه الأيام ليس هناك سوىٰ بعض الأشخاص الذين يمكنك أن تتحدث معهم فعلًا. كل الناس قلوبها ثائرة. أريد أن أخلي صدري من الأسرار، ليصير صدرًا لطيفًا نقيًا. أن يُخلي المرء صدره من الأسرار خير من أن تستفحل في أعماق الروح».

ولكي يحتفظ بنضارة وجهه؛ فقد تخلل حديثه إيماءات وغمزات صغيرة كان واضحًا أنَّه يفترض بها أن تلهم الثقة وتثبت أنَّه رجل بسيط جدًّا.

«يا صديقي العزيز، لقد أصابني اتهامك لي في الصميم. يعتقد عشاقك الروحانيون أنك وحدك تعاني. لكنك مخطئ. فرغم أنَّ حبي من النوع الجسدي المبهرج، لكني أنا أيضًا أعاني. إنَّ المعاناة هي التي تدفعني إلىٰ الآنسات فاركس لهذا العالم. أجل، أنا أعاني».

هنا برز الوجه الخالي من التعبير وتسلل الألم إلىٰ صوته فعلًا. «إنها أنانية، إنها عاهرة أنانية لعينة. لقد كانت عذراء عندما تزوجتها وظلت تحارب منذ ذاك الوقت لتبقىٰ كذلك. إنَّ النوم معها يشبه النوم بسكين مغروس في فخذك».

لقد كان دور الآنسة **القلوب الوحيدة** في الضحك. وضع رأسه بالقرب منْ وجه شرايك وضحك بكل ما أوتيَ من قوة.

حاول شرايك تجاهله فأنهىٰ حديثه وكأن الأمر كله كان دعابة.

«تدعي أني اغتصبتها. هل يمكنك أن تتخيل، ويلي شرايك، يغتصب أحدًا؟ أنا مثلك، أحد أولئك المحبين الممتنين».

جاءت ماري إلىٰ الغرفة مرتدية رداء الحمام. انحت في اتجاه الآنسة القلوب الوحيدة وقالت: «لا تتحدث إلىٰ ذلك الخنزير. تعال معي وأُتي بالويسكي».

عندما كان يتبعها إلىٰ غرفة النوم، سمع شرايك يغلق الباب الأمامي. ذهبت هي إلىٰ الخزانة الكبيرة لترتدي ثيابها. جلس هو علىٰ السرير.

«ماذا أخبرك ذلك الخنزير؟».

«قال بأنك أنانية، أنت يا ماري أنانية من الناحية الجنسية».

«من بين جميع الأمور المثيرة للأعصاب. هل تعلم لِمَ يتركني أخرج مع رجال آخرين؟ ليوفر المال. يعلم أني أتركهم يعانقونني وعندما أعود إلىٰ المنزل مُثارة ومنزعجة، من أجل ذلك يتسلّق إلىٰ سريري ويتوسل كي يقوم بذلك الأمر. نذل بخيل».

خرجت من الخزانة ترتدي دانْتِلّة سوداء منزلقة وبدأت تصلح شعرها أمام المزينة. انحنىٰ الآنسة القلوب الوحيدة ليقبل مؤخرة رقبتها.

«الآن، الآن»، قالت وهي تتصرف كالهرة، «سوف تجعلني أتخبط».

أخذ شرابًا من قنينة الويسكي، ثم عمِل لها شراب الويسكي بالصودا، أعطته قبلة، نُقْرةُ جزاءٍ صغيرة.

سألته: «أين سنأكل؟ فلنذهب حيث نستطيع الرقص. أريد أن أمرح».

استقلا سيارة أجرة إلىٰ مكان يدعىٰ إيل غاوتشو. عندما دخلا، كانت الأوركسترا تعزف الرومبا الكوبي. قادهم نادل يرتدي زي رعاة البقر من جنوب أمريكا إلىٰ الطاولة. أصبحت ماري علىٰ الفور إسبانية وأصبحت حركاتها واهنة يملؤها التخلي.

غير أنَّ الجو الرومانسي زاد في شعوره بالسمنة الجليدية فقط. حاول محاربته بإخبار نفسه أنَّه كان صبيانيًا. ماذا حدث لقلبه المتفاهم العظيم؟ القيثارات، والشالات المشرقة، والأطعمة العجيبة، والأزياء الغريبة - كانت كل هذه الأمور جزءًا من أعمال الأحلام. لقد تعلم ألَّا يضحك من الإعلانات التي تقدم تعليم الكتابة والرسوم الكارتونية، والهندسة، وكيف يزيد بوصة في العضلة ذات الرأسين وتطوير النهد. ولذا؛ ينبغي له أن يدرك أنَّ الناس الذين يأتون إلىٰ إل غاوتشو يشبهون أولئك الذين أرادوا أن يكتبوا ويعيشوا حياة فنان، أراد أن يكون مهندسًا ويرتدي لفافات ساق جلدية، أراد تطوير قبضة من شأنها إقناع رئيسه، أرادوا أن

يسندوا رأس راؤول علىٰ صدورهم المنتفخة. كانوا هم الأشخاص أنفسهم الذين كتبوا إلىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة** طلبًا للمساعدة.

بيد أنَّ غضبه كان عميقًا جدًّا بالنسبة إليه ليهدئه بهذه الطريقة. في الوقت الحالي، تركته الأحلام يشعر بالبرد، بغض النظر عن مدىٰ تواضعها.

قالت ماري: «يعجبني هذا المكان، إنَّه مزيف قليلًا، أعلم، لكنه بهيج وأنا أريد أن أكون مبتهجة».

أعربت عن شكرها له من خلال عرض نفسها في سلسلة من الحركات الرسمية واللا شخصية. كانت ترتدي فستانًا ضيقًا ولامعًا مثل الحديد المغطىٰ بالزجاج، وقد كان ثمة شيء ميكانيكي نظيف في تمثيلها الإيمائي.

«لماذا تريدين أن تكوني مبتهجة؟».

«الكل يريد أن يكون مبتهجًا، إلَّا أن يكون مريضًا».

هل كان مريضًا؟ سوف يتحطم قراء عموده، خلال موجة برد شديدة، علىٰ الموسيقىٰ، علىٰ الشالات الباهرة والنادلات الخلابات، علىٰ جسدها اللامع. لينقذ نفسه، طلب رؤية الميدالية. وكفتاة صغيرة تساعد رجلًا عجوزًا علىٰ عبور الطريق، انحنت له لينظر في فتحة فستانها. ولكن قبل أن يحظىٰ بالفرصة ليرىٰ أي شيء، جاء النادل إلىٰ الطاولة.

قال الآنسة القلوب الوحيدة: «إنَّ الوسيلة الوحيدة لتبتهجي هي أن تجعلي الآخرين مبتهجين أيضًا، عاشريني وسأصبح كلبًا مبتهجًا».

لقد جعل طعم الهزيمة الذي في صوته من السهل عليها أن تتجاهل طلبه وتعلق عقلها بعقله. قالت له: «لقد عانيت الأمرَّين، منذ البداية، لقد عانيت الأمرَّين. فقد شهدت موت أمي عندما كنت صغيرة. كانت تعاني من سرطان الثدي وقد كان الألم فظيعًا. لقد ماتت وهي تنحني علىٰ الطاولة».

قال لها: «عاشريني».

«لا، دعنا نرقص».

«لا أريد ذلك، أخبريني عن أمك».

«لقد ماتت وهي تنحني علىٰ الطاولة. لقد كان الألم رهيبًا جدًّا إلىٰ درجة أنها قفزت من السرير لكي تموت».

انحنت ماري لإظهار كيف ماتت أمها فقام هو بمحاولة أخرىٰ لرؤية الميدالية. لمح وجود صورة عدّاء، لكنه لم يستطع قراءة النقش.

واصلت القول: «كان والدي قاسيًا جدًّا معي، لقد كان رسام بورتريه، رجلًا عبقريًا، ولكن . . .».

توقف عن الاستماع وحاول أن يشغِّل قلبه المتفاهم مرة

أخرىٰ. الآباء أيضًا هم جزء من أعمال الأحلام. كان والدي أميرًا روسيًّا، كان والدي رئيسًا هنديًّا من منطقة بايوت، كان والدي من كبار مربي الماشية في أستراليا، خسر والدي كل ماله في وول ستريت، كان والدي رسام بورتريه. إنَّ أشخاصًا مثل ماري لا يمكنهم الاستغناء عن مثل هذه الحكايات. إنَّ السبب الوحيد الذي دفعهم لروايتها أنهم أرادوا أن يتحدثوا عن أمر بخلاف الملابس أو الأعمال أو الأفلام، لأنهم أرادوا أن يتحدثوا عن شيء شاعري.

قال عندما أنهت رواية قصتها: «أيتها الفتاة الصغيرة»، وانحنىٰ ليلقي نظرة أخرىٰ علىٰ الميدالية. مالت نحوه لتساعده وسحبت فتحة ثوبها بأصابعها. هذه المرة استطاع قراءة النقش: «هذه الميدالية ممنوحة من قبل المدرسة اللاتينية ببوسطن، سباق ١٠٠ ياردة».

لقد كان انتصارًا صغيرًا، ومع ذلك فقد زاده رهقًا وسرَّه أن اقترحت عليه المغادرة. في سيارة الأجرة، توسل إليها مجددًا ليعاشرها. رفضت ذلك. فعَجَن جسدها كنحَّات اشتد غضبه علىٰ الطين الذي يعمل به، غير أنَّه تمتع بحس منهجي للغاية في عدم اكتراثه وظلَّ كلاهما باردًا.

عند باب شقتها، التفتت إليه لتنال قبلة والتصقت به. اندلعت شرارة في فخذه. رفض أن يتركها وحاول أن ينمي تلك الشرارة لتصبح لهبًا. دفعت فمه بعيدًا كي لا ينال قبلة رطبة طويلة.

قالت له: «أنصت إليّ، لا يمكننا التوقف عن الكلام. يجب أن نتحدث. ربما سمع ويلي المصعد وهو الآن يسترق السمع من وراء الباب. أنت لا تعرفه. إن لم يسمعنا نتحدث؛ فسيعلم أنك تقبلني وسيفتح الباب. إنها إحدىٰ خدعه القديمة».

أدناها منه وحاول بجهد الحفاظ علىٰ تلك الشرارة مشتعلة.

توسلت إليه قائلة: «لا تقبلني علىٰ شفتي، يجب أن أتحدث».

قبَّل رقبتها، ثم فتح ثيابها وقبَّل ثدييها. كانت تخشىٰ مقاومته كما تخشىٰ أن تصمت عن الكلام.

قالت بصوت شجاع مثل فتاة صغيرة تنشد في حفل: «توفيت والدتي بسرطان الثدي، لقد توفيت وهي تنحني علىٰ الطاولة. كان والدي رسام بورتريه. وقد عاش حياة بهيجة للغاية. لقد أساء معاملة والدتي. لقد أصابها سرطان الثدي ...»، مزق ثيابها وبدأت تتمتم مكررة كلامها. أنزل ثيابها إلىٰ قدميها ومزق ملابسها الداخلية فكانت عارية تحت معطفها المصنوع من الفراء. حاول سحبها علىٰ الأرض.

توسلت إليه: «أرجوك، أرجوك، سوف يخرج ويقبض علينا».

أسكتها بقبلة طويلة علىٰ فمها.

«اسمح لي بالذهاب يا عزيزي»، قالت ذلك وهي تناشده. «ربما هو ليس في المنزل، إن لم يكن؛ فسأدعك تدخل».

قام بإطلاق سراحها، ففتحت الباب ودخلت تمشي علىٰ أطراف أصابعها وتحمل ثيابها الملفوفة تحت معطفها. سمعها تشعل الأضواء في البهو وعرف أنَّ شرايك لم يكن وراء الباب. ثم سمع وقع أقدام فطلع وراء انعكاس بيت المصعد. فُتح الباب ونظر شرايك في الرواق. كانت يرتدي الجزء العلوي من ثياب نومه فقط.

• الآنسة القلوب الوحيدة في رحلة ميدانية

كان الجو باردًا ورطبًا في غرفة المدينة في اليوم التالي، وجلس **الآنسة القلوب الوحيدة** إلىٰ مكتبه واضعًا يديه في جيبه وملزقًا رجليه إلىٰ بعضهما البعض. صحراء، هذا ما كان يفكر فيه، ليس من الرمال وإنما من الصدأ وأدران البدن، محاطة بسياج فناء خلفي عليه ملصقات تصف أحداث اليوم. تقتل الأم خمسة بالفأس، تقتل سبعة، تقتل تسعة . . . صفعت الشابة اثنين، صفعت ثلاثة . . . داخل السياج، قامت اليائسة ومنكسرة القلب والمحبطة من الزوج المسلول والبقية بتشكيل حروف **الآنسة القلوب الوحيدة** من أصداف البطلينوس البيضاء، كما لو كنَّ يزينَّ حديقة مستودع يقع في منطقة ريفية.

لم يلحظ قدوم غولدسميث متمايلًا إلىٰ أن سقطت ذراع ثقيلة علىٰ رقبته مثل الصخرة المستعملة في فخاخ اصطياد الحيوانات الكبيرة. حرر نفسه ناخرًا. شكّل غضبه مصدر تسلية لغولدسميث،

الذي ابتسم، مكوِّرًا خديه السمينين كلفافتين من ورق المراحيض الوردي الأملس.

سأل غولدسميث مقلدًا شرايك: «حسنًا، كيف حال السكير؟».

علِم **الآنسة القلوب الوحيدة** أنَّ غولدسميث كتب في عموده نيابة عنه بالأمس؛ لذلك أخفىٰ انزعاجه ليظهر امتنانه.

قال غولدسميث: «ليس ثمة مشكلة علىٰ الإطلاق، كان من دواعي سروري أن أقرأ بريدك». سحب مغلفًا وردي اللون من جيبه وألقىٰ به علىٰ الطاولة «من معجب». غمز بعينيه تاركًا غطاء رماديًا كثيفًا ينزل ببطء وترف علىٰ عين رطبة دوَّارة.

أخذ **الآنسة القلوب الوحيدة** الرسالة.

«عزيزتي **الآنسة القلوب الوحيدة** ..

لا أحسن الكتابة جيدًا؛ لذا أتساءل إذا كان بإمكاننا أن نلتقي. عمري ٣٢ سنة ولقد لاقيت الكثير من المتاعب في حياتي وأنا للأسف متزوجة من رجل أعرج. أحتاج بشدة إلىٰ نصيحة جيدة، لكن لا يمكنني البوح بحالتي في الرسالة؛ لأني لا أجيد التعامل مع الحروف وسيحتاج الأمر إلىٰ خبير لأفصح عن حالتي. أعلم أنك رجل وهذا يسرني؛ لأنني لا أثق في النساء. لقد أُشير إليك في حانتي دليهانتي بأنك الرجل الذي يكتب النصائح في

الصحيفة، وبمجرد أن رأيتك علمت أنه باستطاعتك مساعدتي. كنت ترتدي بذلة زرقاء وقبعة رمادية عندما دخلت أنا وزوجي الأعرج. لا ينتابني شعور سيئ بشأن رؤيتك شخصيًّا؛ لأني أشعر وكأني أعرفك. فأرجو أن تتصل بي علىٰ بورغيس ٧-٧٣٢٣ وهذا هو رقم هاتفي فإني بحاجة لنصيحة بشأن حياتي الزوجية.

معجبة

فاي دويل».

ألقىٰ الرسالة في سلة المهملات مظهرًا نفورًا كبيرًا.

أثار ذلك ضحك غولدسميث، فقال: «ماذا الآن يا دوستويفسكي؟ هذا ليس تصرفًا مناسبًا. فعوض أن تسحب الروسي وتوصي بالانتحار، كان عليك أن تأتي بالسيدة والطفل وتزيد في الانتشار المحتمل للصحيفة».

تظاهر **الآنسة القلوب الوحيدة** بالانشغال وذلك ليدفعه بعيدًا. فذهب إلىٰ آلته الكاتبة وبدأ بالكتابة في عموده.

«تبدو الحياة لكثير منّا صراعًا رهيبًا من الألم والحسرة دون أمل أو فرح. آهٍ يا قرائيَ الأعزاء، هي فقط تبدو كذلك. فكل إنسان، مهما كان فقيرًا أو متواضعًا، يمكنه أن يعلم نفسه أن يُعمل حواسه. انظروا إلىٰ السماء المبقَّعة بالسحب، والبحر الذي يعلوه الزبد ... استشعروا المخمل والساتان ... وكما تقول الأغنية:

(أجمل الأشياء في العالم حرة طليقة). إنَّ الحياة . . .».

لم يستطع الاستمرار في ذلك وعاد مجددًا إلىٰ الصحراء المتخَيَّلة حيث لا زالت اليائسة ومنكسرة القلب والأخريات يبنين اسمه. لقد نفذت الصدفات وبدأن في استخدام صور شمسية باهتة، مراوح متسخة، جداول أوقات، أوراق لعب، ألعاب معطوبة، مجوهرات مقلدة: نفاية جعلتها الذاكرة ثمينة، أثمن بكثير من أي شيء قد يُخرجه البحر.

قتل قلبه المتفاهم العظيم بالضحك، ثم تناول رسالة السيدة دويل من سلة المهملات. ونصبها في الصحراء مثل خيمة وردية. اكتست الورقة الرخيصة في ظلمة الجزء العلوي من المكتب الماهوجاني نغمات لحم غنية. فكر في السيدة دويل علىٰ أنها خيمة، مغطاة الشعر كثيرة العروق، وفكر في نفسه علىٰ أنَّه هيكل عظمي في دورة مياه، الجمجمة والعظام المتقاطعة معلقة علىٰ ناقلة كتب أحد العلماء. وعندما أدخل الهيكل العظمي إلىٰ خيمة اللحم، أزهرت في كل ناحية من نواحيها.

وعلىٰ الرغم من هذه الأفكار، ظلَّ جافًا وباردًا كعظم مصقول وجلس يبحث عن سبب أخلاقي كي لا يتصل بالسيدة دويل. لو استطاع فقط أن يؤمن بالمسيح، فسيصبح الزنىٰ خطيئة، عندها سيصبح كل شيء بسيطًا وسيسهل الرد علىٰ الرسائل.

دفعه اكتمال فشله إلىٰ الهاتف. غادر غرفة المدينة واتجه إلىٰ

البهو ليستخدم الهاتف في محطة الدفع حيث تُجرىٰ كل المكالمات الخصوصية. لقد غُطيت جدران الحجرة برسومات بذيئة. ثبت عينيه علىٰ صورة عضوَيْن تناسليّيْن بلا جسد وأعطىٰ المشغل الرقم: بورغيس ٧-٧٣٢٣.

«السيدة دويل؟».

«مرحبا، من المتكلم؟».

قال: «أريد الحديث إلىٰ السيدة دويل، هل أنت السيدة دويل؟».

«أجل، أنا هي». كان صوتها متصلبًا بسبب الخوف.

«أنا الآنسة القلوب الوحيدة».

«الآنسة من؟».

«الآنسة القلوب الوحيدة، الآنسة القلوب الوحيدة، الرجل الذي يكتب في العمود».

كان علىٰ وشك أن يضع السماعة عندما قالت في غُنْجٍ: «آه، مرحبًا ...».

«لقد أخبرتني أن أتصل».

«آه، أجل ... ماذا؟».

خمَّن أنها تريده أن يتولىٰ هو الحديث. «متىٰ يمكنك رؤيتي؟».

«الآن». كانت لا تزال تتغنَّج وكان باستطاعته تقريبًا أن يشعر بنفسها الدافئ الرطب من خلال السماعة. «أين؟».

«قل أنت».

فقال لها: «سأخبرك، لاقيني في الحديقة الصغيرة، قرب المسلَّة، في غضون ساعة».

عاد إلىٰ مكتبه وأنهىٰ الكتابة في عموده، ثم اتجه نحو الحديقة. جلس علىٰ مقعد قرب المسلَّة منتظرًا السيدة دويل. نظر إلىٰ السماء، وهو ما يزال يفكر في الخيمات، فرآها ملونة بلون القنب وممتدة علىٰ نحو سيئ. فحصها كمحقق غبي ينهك نفسه في البحث عن دليل. وعندما لم يجد شيئًا؛ حوَّل عينه المدَرَّبة إلىٰ ناطحات السحاب التي هددت الحديقة من كل الجوانب. لقد وجد في خضم صخورها المذلَّلة التي هي بالأطنان وحديدها المعَذَّب ما حسبه دليلًا.

لقد بدد الأمريكيون طاقتهم الجذرية في عربدة تحطيم الحجارة. فخلال سنواتهم القليلة، قاموا بتحطيم الحجارة أكثر من المصريين. وقد قاموا بعملهم بشكل هستيري ويائس، كأنهم علموا أنَّ الحجارة ستحطمهم ذات يوم.

رأىٰ المحقق امرأة كبيرة فاتجه نحوها. أعدَّ كتالوجًا سريعًا: ساقان كالأندية الهندية، ثديان كالبالونات، وجبين كالحمامة. علىٰ الرغم من تنورتها القصيرة المنقوشة، وسترتها الحمراء، وجاكيتتها

المصنوعة من جلد الأرنب، وقلنسوتها الصوفية المحِيكة؛ إلَّا أنها بدت كضابط شرطة.

تريَّث قليلًا كي تبادره بالكلام.

«الآنسة القلوب الوحيدة؟ آه، مرحبًا . . .».

«السيدة دويل؟» اعتدل قائمًا وأمسك بذراعها. أحسَّ كأنها فخذ وليست ذراعًا.

«أين نحن ذاهبون؟»، سألته عندما بدأ يقودها بعيدًا.

«لنحتسيَ شرابًا».

«لا يمكنني الذهاب إلىٰ دليهانتي، فهم يعرفونني».

«سنذهب إلىٰ منزلي».

«أوَ عليَّ ذلك؟».

لم يكن مجبرًا علىٰ الإجابة، فقد كانت بالفعل في طريقها إلىٰ منزله. عندما كان يتبعها علىٰ الدرج المؤدي إلىٰ شقته، شاهد عمل فخذي الخنزير الضخمين؛ كانا كمُسنَّنين عظيمين.

أعدَّ بعض كؤوس شراب الويسكي بالصودا واستلقىٰ بحذائها علىٰ السرير.

«لا بد أنَّك تعلم الشيء الكثير عن النساء نظرًا لعملك»، قالت ذلك متنهدة وقد وضعت يدها علىٰ ركبته.

دائمًا ما كان هو المُطارِد، لكنه الآن وجد متعة غريبة في قلْب الأدوار. انسحب إلىٰ الوراء عندما أرادت أن تقبله. أمسكت بيده وقبلته علىٰ فمه. لقد تكتكت مثل الساعة، ثم انخفضت ثم استغلظت لتصير دقة قلب. لقد دقت بصوت أعلىٰ وسرعة أكبر في كل ثانية، حتىٰ ظنَّ أنها كانت علىٰ وشك الانفجار وابتعد بحركة وقحة.

«لا تفعل»، قالت متوسلة.

«لا أفعل ماذا؟».

«آه، يا عزيزي، أشعل النور».

دخن سيجارة وهو واقف في الظلمة ينصت إليها وهي تنزع ثيابها. لقد أحدثت صوتًا كصوت البحر، شيء ما يخفق مثل الشراع؛ كان هناك صرير الحبال؛ ثم سمع صوت صفع المطاط علىٰ اللحم كصفْع الموج علىٰ الرصيف. كان نداؤها إياه ليسرع أنين البحر، وعندما تمدد بجانبها؛ هاجت وماجت، مَدِّيجَزَرِي، مدفوع بحركة القمر.

بعد مضي خمس عشرة دقيقة، زحف خارج السرير مثل سباح منهك يغادر الأمواج المتكسرة علىٰ الشاطئ، وسقط في كرسي كبير بالقرب من النافذة. ذهبت إلىٰ الحمام، ثم عادت وجلست في حضنه.

قالت: «إني خجلة من نفسي، لا بدَّ أنك تظن أني امرأة سيئة».

حرك رأسه أن لا.

«زوجي ليس ذا شأن. فهو أعرج كما كتبت لك، وأسنُّ مني». وضحكت. «إنَّه جاف. لم يكن زوجًا لي لسنوات. أتعلم، لوسي، ابنتي؛ ليست ابنته».

رأىٰ أنها كانت تنتظر منه أن يندهش وبذل جهده ليرفع حاجبيه.

قالت له: «إنها قصة طويلة، لقد كنت مجبرة علىٰ الزواج به بسبب لوسي. أراهن أنك تساءلت كيف حصل أن تزوجت برجل أعرج. إنها قصة طويلة».

كان صوتها منوِّمًا ورتيبًا كنقرات طبل رتيبة. وقد كان عقله وجسمه بين النوم واليقظة.

«إنها قصة طويلة للغاية؛ ولهذا لم أستطع كتابتها في الرسالة. لقد كنت في مأزق عندما سكنت عائلة دويل فوقنا في الشارع الرئيس. كانت عادتي أن أعامله بلطف وأن أرافقه إلىٰ قاعة السينما لأنَّه كان أعرجًا، رغم أني كنت إحدىٰ أكثر الفتيات شهرة في الحي. لذلك عندما كنت في مأزق، لم أدرِ ماذا يجب عليّ أن أفعل وطلبت منه المال لأجري عملية إجهاض. لكنه لم يكن يمتلك

المال، فتزوجنا بدلًا من ذلك. لقد كان مأتىٰ كل ذلك من ثقتي بداغاو قذرٍ. ظننته رجلًا شهمًا، لكن عندما طلبت منه أن يتزوجني؛ استنكف عن ذلك منذ البدء وأبىٰ حتىٰ أن يعطيني المال لإجراء عملية الإجهاض. قال بأنَّه لو أعطاني المال فهذا سيعني أنَّه كان خطأه وسوف يكون لدي شيء ضده. هل سبق لك أن سمعت بمثل هذا الوضيع؟».

فأجابها: «لا». لقد كانت الحياة التي تحدثت عنها أثقل حتىٰ من جسدها. كانت كما لو أنَّ رسالة عملاقة حيَّة موجهة إلىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة** في شكل وزن ورقة وُضعت علىٰ دماغه.

«بعد ولادة الطفلة، كتبت إلىٰ ذلك الوضيع، لكنه لم يجبني، وقبل نحو عامين، بدأت أفكر في كيف كان الأمر جائرًا بالنسبة إلىٰ لوسي أن تُجبر علىٰ أن يعولها رجل أعرج وتُحرم من حقوقها. لذلك بحثت عن اسمه في دليل الهاتف وأخذت لوسي لرؤيته. وكما أخبرته عندها، لم أرد شيئًا لنفسي، وإنما أردت أن تنال لوسي ما هو آيلٌ إليها. حسنًا، بعد أن أبقانا ننتظر في الممر لأكثر من ساعة -لقد كان الدم يغلي في عروقي من الغضب، أستطيع أن أخبرك بذلك، أفكر في الجرم الذي ارتكبه في حقي وحق صغيرتي- اقتادنا خادم إلىٰ الصالون. هادئة جدًّا ومثل السيدة؛ لأنَّ المال ليس كل شيء وهو ليس رجلًا شهمًا أكثر من كوني أنا سيدة محترمة - الأجنبي القذر. أخبرته أنَّه يجب أن يفعل شيئًا للوسي

نظرًا لكونه والدها. حسنًا، كانت لديه الجرأة كي يدّعي أنَّه لم يرني من قبل وأني إن لم أتوقف عن إزعاجه؛ فسيُقبض عليّ. لقد استفزني ذلك واشتعلتُ في وجه ذلك النذل وأذقته لوعة لساني. دخلت امرأة عندما كنا نتشاجر ظننتها زوجته؛ ولذلك صرخت: (إنه والد صغيرتي، إنه والد صغيرتي). وعندما ذهبوا إلىٰ الهاتف ليتصلوا بالشرطي، أمسكت الطفلة وأوسعتها ضربًا.

والآن يأتي الجزء الأطرف في الأمر كله. إنَّ زوجي رجل غريب الأطوار ودائمًا ما يتظاهر بأنَّه والد الفتاة حتىٰ إنَّه يتحدث معي عن صغيرتنا. حسنًا، ما انفكت لوسي تسألني، عندما عدنا إلىٰ المنزل، لماذا قلت بأنَّ ذلك الرجل الغريب كان والدها. أرادت أن تعرف إن كان دويل والدها حقًّا. لا بدَّ أنَّه قد أصابني الجنون إذ أخبرتها بأنها يجب أن تتذكر أنَّ والدها الحقيقي رجل يدعىٰ توني بينيلي. وأخبرتها بحماقات أخرىٰ كهذه - أفلام كثيرة علىٰ ما أظن. حسنًا، عندما عاد دويل إلىٰ البيت كان أول شيء قالته له لوسي إنَّه ليس والدها. آلمه ذلك وأراد أن يعرف ماذا أخبرتها. لم تعجبني طُرقه وأقواله المبالغ فيها للغاية، الحقيقة. أعتقد كذلك أني سئمت من رؤيته يتمسكن لها فتقدم إليّ وضربني علىٰ خدي. لم أكن لأترك أي رجل يفلت بذلك الفعل؛ ولذلك ضربته في المقابل فلوَّح بعصاه في وجهي لكنه لم يصبني وسقط علىٰ الأرض وانفجر باكيًا. كانت الفتاة علىٰ الأرض تبكي أيضًا،

الأمر الذي أزعجني حيث لم ألبث أن وجدت نفسي علىٰ الأرض وقد ملأت الدنيا صياحًا».

انتظرت منه أن يقوم بالتعليق، لكنه بقي صامتًا إلىٰ أن وكزته بكوعها كي يتكلم، فقال: «قد يكون زوجك يحبك وطفلتك».

«ربما، لكني كنت فتاة جميلة وكان يمكنني أن أختار ما أشاء. أي فتاة تريد أن تعيش حياتها مع أعرج ضئيل الجسم؟».

«ما تزالين جميلة». قال ذلك دون معرفة السبب سوىٰ أنَّه كان خائفًا.

كافأته بقبلة وجرَّته إلىٰ السرير.

- **الآنسة القلوب الوحيدة في المستنقع الكئيب**

بعد فترة وجيزة من مغادرة السيدة دويل، أصبح **الآنسة القلوب الوحيدة** مريضًا من الناحية الجسدية ولم يتمكن من مغادرة غرفته. لقد محا اليومين الأولين من مرضه بالنوم، بيد أنَّه وفي اليوم الثالث بدأت مخيلته في العمل مرة أخرىٰ.

وجد نفسه في نافذة محل رهونات طافحة بمعاطف الفراء وخواتم الماس والساعات والبنادق وبكرات الصيد والطنابير. كل هذه الأشياء كانت لوازم المعاناة. التوىٰ ضوء مُعذَّب مرتفع علىٰ شفرة السكين الهدية، نخر قرنٌ محطم من الألم.

جلس علىٰ النافذة يفكر. إنَّ للإنسان انتحاء نحو النظام.

المفاتيح في جيب، والفكة في جيب آخر. يتم ضبط الطنبور جي دي أي إي. إنَّ للعالم المادي انتحاء نحو الفوضىٰ، الإنتروبيا. الإنسان في مواجهة الطبيعة ... معركة العصور. تتوق المفاتيح إلىٰ الاختلاط بالفكة. يجاهد الطنبور للخروج عن الضبط. كل نظام يمتلك داخله بذرة دمار. كل نظام محكوم عليه بالفناء؛ إلَّا أنَّ المعركة تستحق المعاناة.

أعلن بوق يُراد بيعه بـ ٢,٤٩$ عن المعركة وارتمىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة** في المعمعة. أولًا قام بتشكيل قضيب من الساعات القديمة والأحذية المطاطية، ثم شكل قلبًا من المظلات والذباب المرقط، ثم شكل ماسة من الآلات الموسيقية وقبعات دربي، بعد ذلك شكل دائرة، مثلثًا، مربعًا، صليبًا معقوفًا. لكن لم يُثبت شيء من ذلك أنَّه نهائي وبدأ بتشكيل صليب عملاق. عندما أصبح الصليب كبيرًا جدًّا بالنسبة إلىٰ محل الرهونات، نقله إلىٰ شاطئ المحيط. هناك أضافت كل موجة إلىٰ مخزونه أسرع مما أمكنه أن يطيل في أذرعه. كان سعيه هائلًا. تمايل من خط الموج الأخير نحو عمله، ممتلئًا بالقمامة البحرية - والزجاجات، والأصداف، وأجزاء من الفلين، ورؤوس الأسماك، وقطع من الشِّباك.

بعد أن أسكره الإرهاق، أخيرًا سقط نائمًا. وعندما استيقظ، أحسَّ بالضعف الشديد، لكنه ظلَّ هادئًا.

كان ثمة طرْق خجول علىٰ الباب. ثم فُتح ودخلت بيتي إلىٰ الغرفة تمشي علىٰ أطراف أصابعها وهي تحمل حِزمًا بين ذراعيها المفتوحة علىٰ وسعها. تظاهر بالنوم.

فاجأها بقوله: «مرحبًا».

التفت مندهشة لكي تشرح له: «سمعت أنك كنت مريضًا، فأحضرت بعض الحساء الساخن وأشياء أخرىٰ».

لقد أخذ التعب منه مأخذه فلم ينزعج من حركة أمومتها الصغيرة بعينيها الواسعتين وتركها تطعمه بالملعقة. عندما انتهىٰ من تناول الطعام، فتحت النافذة لتُنعش السرير. وبمجرد أن رتبت الغرفة، همت بالانصراف لكنه ناداها كي تعود.

«لا تذهبي يا بيتي».

سحبت كرسيًا إلىٰ جانب السرير وجلست هناك دون أن تنبس ببنت شفة.

قال لها: «أعتذر عما حدث في ذلك اليوم، أعتقد أني كنت مريضًا».

أظهرت أنها قبلت اعتذاره من خلال مساعدته علىٰ إعذار نفسه. «إنها وظيفة الآنسة القلوبَ الوحيدة. لماذا لا تتخلىٰ عنها؟».

«وأفعل ماذا؟».

«يمكنك العمل في وكالة إعلانات، أو شيء من هذا القبيل».

«أنت لا تفهمين يا بيتي، لا أستطيع الاستقالة. وحتىٰ لو كنت سأستقيل، فلن يحدث ذلك أي فرق. لن أتمكن من نسيان الرسائل، مهما فعلت».

قالت له: «ربما لا أفهم، لكنك تجعل من نفسك تبدو أحمقَ».

«ربما أستطيع إفهامك. دعينا نبدأ منذ البداية. رجل وظيفته تقديم النصائح لقراء الصحيفة. الوظيفة هي حيلة لإنعاش حركة انتشار الصحيفة وجميع الموظفين يعدونها دُعابة. رحَّب هو بالوظيفة إذ ربما تؤدي به إلىٰ عمود الإشاعات، وبكل حال فقد سئم من كونه رجلًا تثيره الأرجل. هو أيضًا يظن أنَّ الوظيفة دُعابة، لكن بعد أن قضىٰ سبعة أشهر فيها، بدأت الدعابة في التفلُّت منه. يرىٰ أنَّ غالبية الرسائل هي مناشدات متواضعة عميقة للحصول علىٰ نصيحة أخلاقية وروحية، وأنها تعبيرات متلعثمة عن المعاناة الحقيقية. وقد اكتشف أيضًا أنَّ مراسليه يأخذونه علىٰ محمل الجد. لأول مرة في حياته، يجد نفسه مجبرًا علىٰ فحص القيم التي يعيش بها. يبيِّن فحصه أنَّه ضحية هذه الدعابة وليس المروج لها».

رغم أنَّه تحدث علىٰ نحو واعٍ، إلَّا أنَّه رأىٰ أنَّ بيتي لا تزال تظنه أحمقَ. أغمض عينيه.

قالت له: «أنت متعب، سأغادر».

«لا، لست متعبًا. أنا فقط متعب من الكلام، تكلمي أنت لبرهة».

أخبرته عن طفولتها في المزرعة وحبها للحيوانات، عن الأصوات والروائح في الريف وكيف أنَّ كل شيء طازج ونظيف في الريف. أخبرته أنه ينبغي له العيش هناك وأنَّه لو فعل ذلك، فسيجد أنَّ كل مشاكله كان سببها المدينة.

بينما كانت تتحدث، اقتحم شرايك الغرفة. كان مخمورًا وبدأ فورًا بالصراخ عاليًا، وكأنَّه ظنَّ أنَّ **الآنسة القلوب الوحيدة** كان قريبًا جدًّا من الموت لكي يسمع بوضوح. غادرت بيتي دون أن تقول وداعًا.

كان واضحًا أنَّ شرايك قد التقط بعضًا من حديثها حول المزرعة حيث قال: «يا صديقي، أتفق مع بيتي، أنت انهزامي. لكني لا أوافق علىٰ أنَّ التربة هي الطريقة المناسبة لك لتستخدمها».

أشاح **الآنسة القلوب الوحيدة** بوجهه إلىٰ الحائط وجذب الأغطية. غير أنَّ شرايك لم يكن انهزاميًا. رفع صوته موجهًا كلامه من خلال البطانيات إلىٰ قفا **الآنسة القلوب الوحيدة**.

«ثمة طرق أخرىٰ، وسأصفها لك لكي أثقِّفك. ولكن دعنا أولًا نقوم بالهروب إلىٰ التربة، كما أوصت بذلك بيتي:

«لقد سئمتَ من المدينة التي تعج بالملايين، وطرق الناس

ووسائلهم، من حيث الكسب والإقراض والإنفاق، والتي تُبدد عالمك الباطني فيها؛ أكثر مما تحتاجه أنت. تستغرق الحافلة وقتًا طويلًا، بينما يكون مترو الأنفاق دائمًا مزدحمًا. فماذا تفعل إذن؟ إذن تشتري مزرعة وتسير وراء مؤخرة حصانك الرطبة، من غير ياقة أو ربطة عنق، تحرث فدادينك الشاسعة. وعند تقليبك التربة الغنية؛ تحمل الرياح رائحة الصنوبر والروث عبر الحقول ويدخل روحك إيقاع عمل عتيق جدًّا. وبهذا الإيقاع، تزرع وتبكي وتسوس البقرات، لا أولي القربىٰ أو بني البشر، بين الصفوف المحملة بالذرة والبطاطس. تُمسي خطوتك خطوة جنسية ثقيلة لهندي أسكره الرقص وتدوس علىٰ البذور داخل الأرض الأنثىٰ. لا تزرع أسنان تنين، وإنما الفاصولياء والبقْل.

حسنًا، ماذا تقول يا صاحبي، هل ستكون التربة؟».

لم يجب الآنسة القلوب الوحيدة. كان يفكر في كيف سرَّع شرايك مرضه من خلال تعليمه كيف يتعامل مع هروبه، المسيح، بقفاز ثخين من الكلمات.

«أفهم من صمتك أنك اتخذت قرارًا ضد التربة. أنا أتفق معك. هذه حياة مملة جدًّا. دعنا الآن نفكر في البحار الجنوبية:

تعيش في كوخ من القش مع ابنة الملك، شابة نحيلة في عينيها حكمة قديمة. ثدياها إجاصتان ذهبيتان مرقطتان، بطنها بطيخة، ورائحتها لا تشبه شيئًا ما خلا سرخس الغاب. في

المساء، علىٰ البحيرة الزرقاء، تحت ضوء القمر الفضي، تدندن من أجل محبوبتك في نعومة مقاطع وكلمات لسانها الخامل. لون جسمك بني ذهبي كلون جسمها، وقد يحتاج السياح إلىٰ إصبع المبشر الساخر ليميِّزوك. إنهم يحسدونك علىٰ عِضْرَطك الفعالة وضحكك غير المبالي والعروس الصغيرة بنية اللون والأصابع بدلًا من الشوكة. ولكنك لا تبادلهم الحسد، وعندما تأتي فتاة المجتمع الجميلة إلىٰ كوخك في الليل، تسعىٰ إلىٰ معرفة سر سعادتك؛ فإنك تعيدها إلىٰ يختها الذي يخيم في الأفق مثل فرس رهان عصبي. وبالتالي، تنفق أيامك في الأحلام، تصطاد الأسماك والحيوانات، ترقص، تقبِّل، وتقطف الزهور فتجعلها خيوطًا في شعرك.

«حسنًا، يا صديقي، ما رأيك في البحار الجنوبية؟» حاول الآنسة القلوب الوحيدة أن يوقفه عن الكلام من خلال تظاهره بالنوم. بيد أنَّ شرايك لم ينخدع.

فقال له: «الصمت مرة أخرىٰ، وأنت محق مرة أخرىٰ. فإنَّ البحار الجنوبية قد استُنزفت ولا فائدة تُرجىٰ من تقليد غوغان[1]. لكن لا تشعرنَّ بالإحباط، فإنَّا لم نزد علىٰ أن طرقنا موضوعنا طرْقًا سطحيًا. خلِّنا الآن نفحص الهيدونية[2]، أو خذ النقد ودع عنك الإقراض.

---

(١) الرسام الفرنسي بول غوغان (Paul Gauguin)..

(٢) أو مذهب المتعة.

تسخر حياتك في السعي وراء الملذات. لا إفراط، كن متيقِّظًا، ولكن لعلمك بأنَّ جسدك آلة متعة؛ فإنَّك تعامله بعناية لتنال أقصىٰ قدر منه. لعبة الغولف والخمرة، جاك أوبراين في فيلادلفيا وتمارين أثقال الصدر الخاصة به وكذلك الراقصات الإسبانيات. ولا تهمل ملذات العقل؛ فإنَّك تزني تحت صور لماتيس وبيكاسو، تشرب من الأواني الزجاجية لعصر النهضة، وكثيرًا ما تقضي الأمسية بجانب الموقد رفقة بروست وتفاحة. ويا للأسف، بعد متعة هنية، يأتي اليوم الذي تدرك فيه أنك قريبًا يجب أن تموت. تكتم مشاعرك وتقرر إقامة حفل أخير. تدعو كل عشيقاتك القدامىٰ ومدربيك وفنانيك وندمائك. يرتدي الضيوف ملابس سوداء، والنوادل هم من الزنوج، والطاولة نعش نحتَه لك أريك جيل. تقدم الكافيار والتوت وحلوىٰ عرق السوس والقهوة من دون القشدة. بعد أن أنهت الفتيات الراقصات؛ انتفضتَ قائمًا واسترعيت الأسماع لتشرح فلسفتك في الحياة. تقول: (إنَّ الحياة مثل نادٍ لا يُحتمل فيه النعيق، حيث يوزعون عليك الورق بيد واحدة. ولذا؛ فحتىٰ لو كان الورق باردًا وعليه يد القدر، أسئ التصرف، أسئ التصرف مثل الرجل النبيل واللهو. اشرب إلىٰ حد الثمالة، استحوذ علىٰ كل ما في البوفيه، استخدم الفتيات فوق، لكن تذكر، حين ترمي عربات النقل؛ انزع الستار مثل رياضة اللعبة الميتة، لا تنعق . . .).

لن أكلف نفسي حتىٰ أن أسألك عن رأيك في هذا الهروب.

فأنت لا تمتلك المال، ولست غبيًا كفاية لتديرها. لكننا بلغنا الآن شيئًا ينبغي أن يناسبك بشكل أفضل . . .

الفن! كن فنانًا أو كاتبًا. حينما يصيبك البرد؛ تدفَّأ أمام صبغات تيتيان المشتعلة، حينما تكون جائعًا؛ تغذىٰ بالأطعمة الروحية عن طريق الاستماع إلىٰ الفترات النبيلة لباخ، وإلىٰ التجانس لبرامز والرعد لبيتهوفن. هل تعتقد أنَّ ثمة أمرًا ما في أنَّ أسماءهم جميعًا تبدأ بحرف الباء؟ لكن لا تغتنم الفرصة، دخِّن غليون باء ٣، وتذكر هذه السطور الخالدة: عندما يُسقط صدىٰ الفراق، مفاجئًا النغم، اليوم الفاشل. يا له من إيقاع! أخبرهم أن يحتفظوا بعاهرات المجتمع والبط الذي حُشيَ بالبرتقال. في سبيل الجزء الحي منك، الفن الحي، كما تسميه. أخبرهم أنك علىٰ علم بأنَّ حذاءك معطوب وأنَّ هناك بثورًا علىٰ وجهك، أجل، وأنَّ لديك أسنان ظبي وقدمًا عرجاء، لكنك لا تعبأ بذلك، إذ إنهم سيعزفون غدًا رباعيات بيتهوفن في قاعة كارنيجي، وفي البيت لديك مسرحيات شكسبير في مجلد واحد».

بعد الفن، وصف شرايك الانتحار والمخدرات. وعندما انتهىٰ منها، أتىٰ علىٰ ما زعم أنَّه الهدف من محاضرته.

«يا صديقي، أعلم بالطبع أنَّه لا يمكن للتربة، ولا بحار الجنوب، ولا الهندونية ، ولا الفن ولا الانتحار، ولا المخدرات، أن تعني أي شيء بالنسبة إلينا. نحن لسنا أولئك الرجال الذي

يأكلون جَمَلًا ويغتصون بالبراز. الرب هو مهربنا الوحيد. الكنيسة هي أملنا الوحيد، الكنيسة الأولىٰ للمسيح طبيب الأسنان، حيث يعبد بكونه المانع من التسوس. الكنيسة التي رمزها تثليث ذو أسلوب جديد: الأب والابن وفوكس ترياي كثُّ الشعر . . .

وهكذا، يا صديقي العزيز، دعني أمليك رسالة إلىٰ المسيح:

«عزيزتي آنسة القلوب الوحيدة سيدة كل الآنسات القلوب الوحيدة. .

عمري ستة وعشرون عامًا وأشترك في لعبة الصحيفة. إنَّ الحياة بالنسبة إلي صحراء خالية من الراحة. لا يمكنني أن أجد المتعة في الطعام والشراب والنساء، ولم تعُد الفنون تفرحني بعد الآن. يتجول فهد السخط في شوارع مدينتي، يجثم أسد الإحباط خارج أسوار قلعتي. كل شيء يبعث علىٰ خراب الروح وامتعاضها. ينتابني شعور فظيع. كيف يمكن، أعتقد، كيف يمكن لي أن أؤمن في هذا اليوم وفي هذا العصر؟ هل صحيح أنَّ العلماء العظماء يؤمنون بك مرة أخرىٰ؟

أقرأ عمودك ويعجبني للغاية. كتبتَ مرة: (عندما يفقد الملح طعْمه، من سيتذوقه مجددًا؟) هل الجواب (لا أحد سوىٰ المنقذ؟).

شاكرًا إياك علىٰ الرد السريع، تحياتي الخالصة.

مشترك منتظم».

- **الآنسة القلوب الوحيدة في الريف**

جاءت بيتي لرؤية **الآنسة القلوب الوحيدة** في اليوم التالي وكل يوم بعد ذلك. وأحضرت له معها حساء ودجاجًا مسلوقًا ليتناوله.

كان يعلم أنها تعتقد أنَّه لا يريد أن تتحسن صحته، لكنه اتبع تعليماتها لإدراكه أنَّ مرضه الحالي لم يكن مهمًّا. كانت خدعة من جسده ليخففف عنه بشكل أكثر عمقًا.

كلما أتىٰ علىٰ ذكر رسائل المسيح، كانت تغيّر الموضوع لتروي قصصًا طويلة حول الحياة في المزرعة. يبدو أنها كانت تعتقد أنَّه إن لم يتحدث عن هذه الأمور أبدًا؛ فإنَّ حالة جسده سوف تتحسن، وأنَّه عندما تتحسن حالة جسده؛ فكل شيء سيكون أفضل. بدأ يدرك أنَّ ثمة خطة محددة وراء حديثها عن المزرعة، بيد أنَّه لم يستطع أن يخمن ماهيتها.

كان يشعر علىٰ نحو أفضل عند حلول أول يوم من فصل الربيع. كان قد قضىٰ أزيد من أسبوع في السرير وكان يتوق للخروج. أخذته بيتي في نزهة علىٰ الأقدام في حديقة الحيوان وقد أدخل عليها إيمانها الواضح في القوة العلاجية للحيوانات السرورَ. بدا وكأنها كانت تعتقد أنَّه يجب عليه أن تثبِّته لينظر إلىٰ الجاموس.

كان يريد العودة إلىٰ العمل، لكنها جعلته يطلب من شرايك تمديد إجازته المرضية لبضعة أيام. أعرب عن امتنانه لها واستجاب

لطلبها. بعد ذلك أخبرته بخطتها. ما زالت عمتها تمتلك مزرعة في ولاية كونيتيكت مسقط رأسها ويمكنهما أن يذهبا إلىٰ هناك وأن يخيما في المنزل.

استعارت سيارة فورد سياحية قديمة من صديق. حمّلاها بالمواد الغذائية والمعدات وانطلقا صباح أحد الأيام. وبمجرد أن وصلا إلىٰ مشارف المدينة، بدأت بيتي تتصرف مثل طفل متحمس، تحيِّي الأشجار والأعشاب فرحًا.

وصلا إلىٰ برامفورد بعد مرورهما بنيو هافن وانتقلا عن الطريق السريع إلىٰ طريق ترابي يؤدي إلىٰ مونكستاون. سلك بهما الطريق وسط امتداد من الغابات البرية وأبصرا بعض السناجب الحمراء والحجل. كان عليه أن يعترف، حتىٰ لنفسه، بأنَّ أوراق الأشجار الجديدة الشاحبة، المشكَّلة والملونة كلهيب شمعة، كانت جميلة وأنَّه كانت تفوح من الهواء رائحة نظيفة وحيوية.

كان هناك بركة في المزرعة وقد وقعت أنظارهما عليها من خلال الأشجار قبيل وصولهما إلىٰ المنزل. لم يكن لديها المفتاح؛ لذا كان عليهما أن يفتحا الباب بالقوة. لقد تسببت لهما رائحة الأثاث القديمة الثقيلة والمنتنة ورائحة الخشب المتعفن بالسعال. تذمر هو، غير أنَّ بيتي زعمت أنها لا تبالي لأنها لم تكن رائحة إنسان. لقد حمَّلت كلمة «الإنسان» بكثير من المعنىٰ حتىٰ إنَّه ضحك وقبَّلها.

قررا أن يخيما في المطبخ لأنَّه كان الغرفة الأوسع والأقل ازدحامًا بالأثاث. كان ثمة أربع نوافذ وباب وقد فتحاها كلها لتهوية المكان.

في الوقت الذي كان يفرِّغ فيه السيارة، كانت هي قد كنست المكان وأشعلت النار في الموقد بخشب كرسي مكسور. كان الموقد يشبه القاطرة وكان تقريبًا في حجمها، لكنَّ المدخنة سحبت بشكل جيد وسرعان ما اشتعلت النار أمامها. حصلت علىٰ قليل من الماء من البئر ووضعته علىٰ الموقد ليغلي. عندما أصبح الماء شديد الحرارة، استخدماه لتنظيف فراش قديم كانا قد وجداه في إحدىٰ الغرف. ثم وضعاه في الخارج تحت أشعة الشمس ليجف.

كان تقريبًا وقت غروب الشمس قبل أن تسمح له بيتي بالتوقف عن العمل. جلس يدخن سيجارة ريثما تعدُّ هي طعام العشاء. تناولا الفاصوليا والبيض والخبز والفواكه واحتسىٰ كل منهما كوبين من القهوة.

بعد أن فرغا من تناول الطعام، كان ما يزال هناك ضوء خافت فذهبا لينظرا إلىٰ البركة. جلسا علىٰ مقربة من بعضهما وأسندا ظهريهما إلىٰ شجرة بلوط كبيرة وشاهدا بَشَلُونًا يطارد ضفدعًا. وتمامًا عندما أرادا العودة، جاء غزال وشَادن إلىٰ الماء من الجانب الآخر من البركة. كان الذباب يزعجهما فانغمسا في الماء وبدآ

يأكلان منصات الزنبق. أحدثت بيتي ضجيجًا غير مقصود فرجع الغزال متعثرًا إلىٰ الغابة.

عند عودتهما إلىٰ المنزل، كان الظلام حالكًا. أضاءا مصباح الكيروسين الذي كانا قد أحضراه معهما ثم جرًّا الفراش إلىٰ المطبخ وأعدًّا فراشهما علىٰ الأرض بجانب الموقد.

قبل أن يذهبا إلىٰ الفراش، خرجا إلىٰ شرفة المطبخ ليدخنا سيجارة أخيرة. كان البرد قارسًا فاضطر أن يرجع ليأتي بباطنية. جلسا قريبًا من بعضهما تلفهما البطانية من حولهما.

كان هناك الكثير من النجوم. أصدرت بومة صيَّاحة ضجة رهيبة في مكان ما من الغابة وعندما سكتت؛ واصل الطائر الغواص في الأسفل علىٰ البركة. أصدرت الصراصير ضجة تماثل تقريبًا الضجة التي أحدثها الطائر الغواص.

كان يشعران بالبرد حتىٰ والبطانية ملفوفة حولها. فرجعا إلىٰ الداخل وأشعلا نارًا كبيرة في الموقد، مستخدمين قطع خشب صلب من إحدىٰ الطاولات ليحافظا عليها مشتعلة. أكل كل واحد منهما تفاحة ثم لبسا لباس النوم وذهبا إلىٰ النوم. قام بمداعبتها، لكن عندما أخبرته بأنها ما تزالْ عذراء؛ تركها بمفردها وأخلد للنوم.

أفاق والشمس في عينيه. وكانت بيتي منشغلة عند الموقد. فأرسلته إلىٰ البركة في الأسفل ليغتسل وعندما عاد كان الفطور

جاهزًا. كان يتكون من البيض ولحم الخنزير والبطاطا وتفاحات مقلية والخبز والقهوة.

بعد وجبة الفطور، عملت علىٰ جعل المكان مريحًا أكثر وذهب هو إلىٰ مونكستاون بالسيارة ليشتري بعض الفواكه الطازجة وبعض الصحف. توقف ليتزود بالوقود عند محطة أو كوم أون وأخبر العامل هناك عن الغزال. أخبره الرجل بأنَّه كان لا يزال ثمة الكثير من الغزلان في البركة إذ لم يسبق أن ذهب أي يهودي إلىٰ هناك. أخبره بأنَّه لم يكن الصيادون هم من طرد الغزلان، وإنما اليهود.

عاد إلىٰ المنزل في الوقت المناسب لتناول الغداء، وبعد الأكل انطلقا في جولة في الغابة. كان الحزن مخيمًا تحت الأشجار. فرغم أنَّ فصل الربيع كان قد قطع شوطًا طويلًا؛ إلَّا أنَّه لم يوجد في الظل العميق سوىٰ الموت: أوراق متعفنة وفطريات بيضاء ورمادية، وقد كُسِيَ كل شيء سكونًا تعيسًا.

اشتدت حرارة الطقس في وقت لاحق فقررا الذهاب للسباحة. دخلا عاريين. كان الماء باردًا جدًّا فلم يتمكنا من البقاء سوىٰ مدة قصيرة. عادا مسرعين إلىٰ المنزل وأخذا شراب جين سريعًا، ثم جلسا في بقعة مشمسة علىٰ شرفة المطبخ.

لم تستطع بيتي الجلوس طويلًا دون فعل أي شيء. لم يكن هناك شيء تفعله في المنزل؛ لذا بدأت تغسل ملابسها الداخلية التي

ارتدتها خلال الرحلة. وبعد أن انتهت من ذلك، علقت حبلًا بين الأشجار.

جلس علىٰ الشرفة وشاهد عملها. كان شعرها مربوطًا بمنديل ذي ترابيع، وإلَّا فقد كانت عارية تمامًا. بدت وكأنها سمينة قليلًا، غير أنها إذا رفعت شيئًا علىٰ الحبل؛ اختفت كل تلك الدهون. سحب ذراعاها المرفوعان ثدييها إلىٰ الخلف حتىٰ كانا مثل إبهامين ذوي رؤوس وردية. لم يكن ثمة رياح تعكر صفو الأرض. تدلَّت الأوراق الخضراء الجديدة مباشرة إلىٰ الأسفل ولمعت في الشمس الحارة كجيش من الدروع المعدنية الصغيرة. في مكان ما من الغابة كان طائر السمنة يغني. وكان صوته مثل صوت ناي اختنق باللعاب.

توقفت بيتي وذراعاها مرفوعان لتنصت إلىٰ الطائر. عندما سكت، التفتت إليه بضحكة مذنبة. رمىٰ إليها بقبلة. أمسكتها بحركة جنسية طفولية. قفز فوق سكة الشرفة وركض ليقبلها. وعندما نزلا، اشتم خليطًا من العرق والصابون والعشب المسحوق.

- **الآنسة القلوب الوحيدة يعود**

بعد بضعة أيام بدآ في رحلة العودة بالسيارة. عندما وصلا إلىٰ الأحياء الفقيرة ببرونكس، علم **الآنسة القلوب الوحيدة** أنَّ بيتي فشلت في علاجه وأنَّه كان محقًا عندما قال بأنَّه لن يستطيع نسيان

الرسائل أبدًا. أحسَّ بإحساس أفضل لعلمه بذلك؛ لأنَّه بدأ يظن أنَّه محتال وأحمق.

تنقلت حشود من الناس في الشارع بعنف يشبه الحلم. وعندما نظر إلىٰ أيديهم المحطمة وأفواههم الممزقة؛ أحسَّ برغبة طاغية في مساعدتهم، ولأنَّ هذه الرغبة كانت خالصة؛ فقد كان سعيدًا رغم الشعور بالذنب الذي رافقها.

رأىٰ رجلًا بدا وكأنه علىٰ وشك الموت يتعثَّر في اتجاه قاعة سينما تظهر صورة تدعىٰ الحسناء الشقراء. رأىٰ امرأة رثة ذات غدة دراقية ضخمة تلتقط مجلة قصص حب من سلة المهملات وبدت متحمسة بما عثرت عليه.

حثه ضميره فبدأ في التعميم. دائمًا ما قاتل الرجال بؤسهم بالأحلام. علىٰ الرغم من أنَّ الأحلام كانت قوية ذات مرة، لكن الأفلام والراديو والصحف جعلتها صبيانية. من بين الخيانات العديدة، كانت هذه الأسوأ.

إنَّ ما جعل حصته فيها سيئة علىٰ نحو خاص هو أنَّه كان قادرًا علىٰ أن يحلم بحلم المسيح. أحسَّ أنَّه فشل في ذلك، لم يكن سبب ذلك دعابات شرايك وشكه هو في نفسه بقدر ما كان ذلك بسبب عدم تواضعه.

أخيرًا استلقىٰ علىٰ السرير. وقبل أن ينام، تعهد بأنَّه سيقوم بمحاولة جادة ليكون متواضعًا. في الصباح، قبل أن ينطلق إلىٰ

عمله، جدد تعهده. لحسن حظه لم يكن شرايك في غرفة المدينة فنجا تواضعه من محنة فورية. ذهب إلىٰ مكتبه مباشرة وبدأ في فتح الرسائل. وعندما فتح قرابة عشر رسائل، أحسَّ بالاستياء وقرَّر أن يكتب عموده في ذلك اليوم دون أن يقرأ أيًا منها. لم يشأ أن يختبر نفسه بشدة.

انكشفت الآلة الكاتبة فوضع ورقة في الأسطوانة.

«لقد مات المسيح من أجلك..

لقد مات مسمَّرا إلىٰ شجرة من أجلك. المعاناة هي هديته إليك ولن يمكنك أن تعرفه إلَّا من خلال المعاناة. اعتز بهذه الهدية؛ لأنَّ ...».

انتزع الورقة من الجهاز. بالنسبة إليه، حتىٰ كلمة المسيح كانت من الخُيلاء. وبعد أن حدق في كومة الرسائل لفترة طويلة، نظر من النافذة. كان هناك سيل بطيء من المطر يغيّر سطح القطران المغْبَرِّ أسفل منه ليجعله كالجلد اللماع. لقد جعل الماء كل شيء زلقًا فلم يتمكن من إيجاد مستند لعينيه ولا لمشاعره.

عند عودته إلىٰ مكتبه، التقط رسالة ضخمة في ظرف قذر. قرأها للسبب ذاته الذي يذرف من أجله الحيوان الدمع من عينيه بسبب قدم مصابة: لإيذاء الألم.

«عزيزتي الآنسة القلوب الوحيدة..

كوني معجبة بعمودك لأنَّك تعطي نصيحة جيدة جدًّا للأشخاص الواقعين في ورطة فذلك ما أنا فيه وأقدر لك أن تنصحني ماذا أفعل بعد أن أخبرك بمشاكلي.

خلال الحرب قيل إنَّه إذا ما أردت أن أقوم بدوري فيجب عليّ أن أتزوج الرجل الذي كنت مخطوبة إليه حيث كان ذاهبًا بعيدًا لمساعدة العم سام، ولكي أختصر الحكاية فقد تزوجت منه. بعد الحرب كان ما يزال عليه أن يقضي عامًا آخر في الجيش حيث كان هذا ما وافق عليه منذ البداية، وبطبيعة الحال فقد ذهبت للعمل؛ إذ بينما يؤدي هو هذا العمل الوطني المثير لم يكن لديه باسمه سوىٰ ١٨ $. عملت ثلاث سنوات بانتظام، ومن ثمَّ كان عليّ المكوث في البيت؛ فقد أصبحت أمًّا. وفي أثناء تلك السنوات كان زوجي يحصل علىٰ عمل ثم يسأم منه أو يرغب في التسكُّع. كان الأمر علىٰ ما يرام قبل قدوم الطفل؛ لأني آنذاك كنت أستطيع العمل بانتظام، ومن ثمَّ تم دفع كل الفواتير ولكن عندما توقفت تدهور كل شيء إلىٰ الوراء. ثم بعد انقضاء عامين انضاف ولد صغير إلىٰ عائلتنا. فسيكون عمر ابنتي ثمانية أعوام وابني ستة أعوام.

عقدت عزمي بعد ولادتي الطفل الثاني علىٰ الرغم من صحتىٰ -حيث دهستني سيارة عندما كنت حبلىٰ بالطفل الأول- أن أبحث عن عمل، غير أنَّ الديون قد تجمَّعت بسرعة كبيرة جدًّا حيث تحتاج إلىٰ رجل ضخم الجثة للقيام بها ناهيك عن امرأة مريضة. ذهبت

للعمل في المساء عندما يكون زوجي في المنزل، وبالتالي يكون ثمة من يراقب الطفل وقد فعلت هذا الأمر إلىٰ أن صار عمر الطفل ثلاث سنوات، عندما فكرت في استقبال رجل كان ينزل عند أخته وعندما انتقلت إلىٰ روتشستر كان عليه البحث عن مكان جديد. حسنًا، وافق زوجي حيث قدَّر أنَّ ١٥ $ من شأنها أن تسهِّل الأمر عليه، حيث كان هذا الرجل أرملًا وكان لديه طفلان وكان زوجي يعرفه لمدة اثنتي عشرة سنة فقد كانا صديقين مقربين وكانا يتسكعان معًا.. إلخ. بعد أن أمضىٰ النزيل معنا مدة عام تقريبًا لم يعد زوجي للبيت في إحدىٰ الليالي ثم ليلتين إلخ. أدرجته في لائحة المفقودين وبعد شهرين ونصف الشهر قيل لي أن أذهب إلىٰ سانت غروف وقد فعلت ذلك وألقي القبض عليه لرفضه توفير الدعم لي ولأطفالي. بعد أن قضىٰ ثلاثة أشهر من مدة ستة أشهر طلب مني القاضي أن أمنح الأسد فرصة أخرىٰ، فاستجبت لذلك كالحمقاء وعندما عاد إلىٰ البيت أوسعني ضربًا؛ فاضطررت إلىٰ إنفاق أكثر من ٣٠ $ في عيادة طبيب الأسنان بعد ذلك.

كان يتحصل علىٰ معاش من الجيش وبطبيعة الحال كنت من يأخذه إلىٰ المتجر لأصرِّفه بما أنَّه كان كسولًا جدًّا؛ لذا كان عليّ أن أوقِّع باسمه وبطبيعة الحال أضع بواسطة اسمي وبسبب رغبتي في الدفع لصاحب الشقة لأنَّه أراد أن يخرجنا قمت بتوقيع الشيك الخاص به لكنني نسيت أن أضع بواسطة اسمي ولقاء ذلك لكي

يسوي الأمر معي لأنَّه سُجن لمدة ثلاثة أشهر بعث إلىٰ واشنطن للحصول علىٰ نسخة من الشيك بحيث يمكن أن يقع اعتقالي بتهمة التزوير ولكن لعلم الجزار بأني أنا التي كنت أوقع الشيكات لم يحصل لي شيء.

لقد هددني بالقتل عدة مرات قائلًا بأنَّ أحدًا لم يحلّ جريمة قتل السيدة ميلز وأنَّك ستلاقين المصير نفسه، وفي مرات عديدة عندما كنت أرتب الأسرة كنت أجد تحت وسادته مطرقة، مقصًا، سكينًا، رافعة حجارة.. إلخ، وعندما سألته فيما يفكر كان يتظاهر بأنَّه لا يعلم شيئًا عن ذلك أو يزعم أنَّ الأطفال قد وضعوها هناك، ثم مضت بضعة أشهر وكنت ذاهبة إلىٰ عملي كالعادة إذ كان يتوجب علىٰ النزيل أن يمكث في المنزل ذلك اليوم بسبب أنَّ المواد لم تصل إلىٰ رئيسه في العمل، فلم يستطع الذهاب إلىٰ العمل؛ لأنَّه كان عملًا بالقطعة. لقد كان من عادتي إعداد وجبة الفطور وطهي الطعام في الليلة السابقة لكي أتمكن من البقاء في الفراش إلىٰ الساعة السابعة؛ لأنَّه في ذلك الوقت كان ابني في مستشفىٰ مقاطعة كينغز بسبب مرض نقله إليّ زوجي أصيب به عندما كان يحارب من أجل العم سام، وكان ينبغي لي الحضور للعيادة لتلقي الإبرة. ولذلك عندما كنت في الفراش أرسل زوجي النزيلَ من دون علمي ليأتيه بصحيفة وعندما عاد كان زوجي قد غادر. ولذلك عندما قدِمتُ من غرفتي في وقت لاحق قيل لي بأنَّ زوجي قد خرج.

أعددت فطور الأطفال وتناولت فطوري ثم ذهبت إلىٰ المِغْسل لأقوم بالغسل الأسبوعي، وبينما كان النزيل يقرأ الصحيفة جاءت أمي علىٰ الساعة الثانية عشر ظهرًا لتعتني بالطفل إذ أتيحت لي فرصة الخروج وجمع بعض المال من خلال القيام ببعض الأعمال المنزلية. كانت الأمور مبعثرة قليلًا، الأسرّة غير مغلَّفة وأشياء في غير مكانها، وكان هناك حاجة بعض الشيء إلىٰ مسح الأرضية؛ حيث كنت أقوم بالغسل طيلة الصباح، ولم تتح لي الفرصة للقيام بذلك فكانت أمي في المنزل لتساعدني علىٰ إنهاء الأمر بسرعة. وبسرعة تُدقُّ بسببها الرقاب لأنتهي من عملي قمت بالمسح خلال الغرف لأتأكد أنَّ كل شيء كان في غاية الترتيب والأناقة، فحتىٰ إذا عاد زوجي إلىٰ المنزل لن يستطيع قول شيء. كان عندنا ثلاثة أسرّة وكنت علىٰ الأخير منها وقد كان سريرًا مزدوجًا، وقد كنت أتدلىٰ لأضع المكنسة تحت السرير لأصل إلىٰ الوبر والغبار ويَا لِلدَّهْشَة رأيت وجهًا مثل قناع شيطان لا يظهر منه سوىٰ بياض العينين ويدين مضمومة لخنق أي شخص، رأيته يتحرك وكنت فزعة جدًّا وظللت في حالة هستيرية إلىٰ الليل وقد شُلَّت أركاني من الخصر نزولًا إلىٰ الأسفل. ظننت أني لن أتمكن من السير مجددًا. استُدعيَ الطبيب من قبل أمي وقال بأنَّ رجلًا فعل مثل هذا الفعل ينبغي أن يوضع في مستشفىٰ المجانين. كان ذلك زوجي مستلقيًا تحت السرير من السابعة صباحًا إلىٰ قرابة الواحدة والنصف بعد الزوال مستلقيًا في

قاذوراته بدلًا من الذهاب إلىٰ الحمام عندما كان عليه أن يقضي حاجته منتظرًا كي يخيفني.

وبما أني لم أستطع الوثوق به فلم أنم معه، وبما أني أخبرت النزيل أن يبحث عن مكان جديد لأني ظننت أنَّه ربما يغار من شيء ما فقد نمت في فراش النزيل في غرفة أخرىٰ. كنت أستيقظ في بعض الليالي فأجده واقفًا بجانب سريري يضحك كالمجنون أو يتجول هنا وهناك عاريًا.

اشتريت آلة بذر جديدة لأقوم ببعض البذر لفائدة أشخاص آخرين لكسب ما يكفي لدفع غائلة الجوع، وفي إحدىٰ الليالي كنت بالخارج أقوم بتوصيل عملي ورجعت لأجد المنزل خاليًا؛ فقد رهن آلة البذر خاصتي ورهن كل ما يمكن رهنه من أغراض المنزل كذلك. منذ أن أفزعني كنت شديدة التوتر في الليل، عندما أستيقظ من أجل الصبية أجده واقفًا وراء الستار فيقفز عليّ أو يضع يده عليّ قبل أن أتمكن من إشعال الضوء. حسنًا، بما بأنَّه وجب عليّ رؤية ذلك فلم أستطع أن أجعله يعمل بشكل منتظم، فكان عليّ أن أكون أمًّا ومدبرة منزل وأجيرة.. إلخ، ولم يكن بمقدوري أن أسمح لأعصابي بأن تنهكني فقد فقدت عملًا جيدًا بسبب أعصابي السيئة، لقد انتقلتُ بعيدًا عنه فعلىٰ أي حال لم يبق هناك شيء كثير في المنزل. لكنه ناشدني للحصول علىٰ فرصة أخرىٰ؛ فلذلك فكرت أنَّه نظرًا لكونه أبَ أولادي فسأمنحه ذلك، ومن ثمَّ فعل أشياء كثيرة

تجاوز حد الكتابة فتركته مجددًا. اجتمعنا أربع مرات وافترقنا أربع مرات. أرجوك أيتها **الآنسة القلوب الوحيدة** صدقني من أجل أبنائي واعذرني فلا أعلم كيف يتم إصلاحها، لكن كل ما أعرفه هو أنَّه في أكثر من ثلاث سنوات حصلت علىٰ ٢٠٠ $ دولار منه تمامًا.

منذ حوالي أربعة أشهر سلمته مذكرة اعتقال بحقه بتهمة عدم الإعالة، فمزقها وخرج من البيت ولم أره منذ ذلك الحين، وبما أني قد أصبت بالتهاب رئوي وأصيبت ابنتي الصغيرة بالأنفلونزا فقد وُضعت في موقف مالي محرج مع الطبيب، واضطررنا إلىٰ الذهاب إلىٰ القسم وعندما خرجنا من المستشفىٰ كان عليّ أن أطلب من النزيل أن يأتي للعيش معنا مرة أخرىٰ؛ لأنَّه كان سيوفر يقينًا ١٥ $ في الأسبوع، وإذا حصل لي شيء فيسكون موجودًا للاعتناء بالصبية. لكنه أرادني أن أصبح سيئة وبما أنَّه لا يوجد أحد في المنزل عندما يعود مخمورًا في ليلة السبت، فإني لا أعلم ماذا أفعل لكن إلىٰ حدِّ الآن لم أسمح له بذلك. لا أعلم مكان زوجي لكن وصلتني رسالة خسيسة منه حتىٰ إنَّه اتهم أولاده الأبرياء بأمور وسأل عن النزيل النجم بشكل ساخر.

أرجوك أيتها **الآنسة القلوب الوحيدة** لا تغضب عليّ لكتابة رسالة طويلة كهذه ولاستغراقك وقتًا طويلًا في قراءتها، ولكني إذا كنت سأكتب كل الأشياء التي حصلت لي خلال العيش معه فستملأ كتابًا وأرجو أن تسامحني علىٰ كتابة بعض الأشياء السيئة؛ إذ كان

ينبغي لي إعطاؤك فكرة عما يجري في بيتي. كل امرأة تستحق منزلًا أليس كذلك؟ لذا أرجوك أيتها **الآنسة القلوب الوحيدة** أن تكتب بعض السطور في عمودك عندما تشير إلىٰ هذه الرسالة؛ وبالتالي سوف أعلم أنك تساعدني. هل يجب عليّ أن أسترجع زوجي؟

مشكورين علىٰ أي شيء يمكنكم مساعدتي به.

مع فائق احترامي،

عريضة المنكبين

ملاحظة: لا تظنَّن أيتها **الآنسة القلوب الوحيدة** أني عريضة المنكبين، ولكن ذلك هو شعوري تجاه الحياة وأنا أعني ذلك».

- **الآنسة القلوب الوحيدة والأعرج**

تهرَّب **الآنسة القلوب الوحيدة** من بيتي لأنها جعلته يشعر بأنَّه مثير للسخرية. كان ما يزال يحاول التشبث بتواضعه، وكلما نزل إلىٰ حضيض الضحك علىٰ الذات أكثر، كان من الأسهل له أن يمارسه. عندما هاتفته بيتي، رفض أن يجيب وبعد أن امتنع عن أن يعيد الاتصال بها؛ تركته وحيدًا.

في أحد الأيام بعد عودته من الريف بنحو أسبوع، طلب منه غولدسميث الخروج لاحتساء شراب. عندما قبل دعوته؛ جعل نفسه متواضعًا جدًّا حتىٰ إنَّ غولدسميث قد أصابه الفزع وكاد أن يقترح عليه زيارة الطبيب.

وجدا شرايك في دليهانتي وانضما إليه عند المشرب. حاول غولدسميث أن يهمس له بشيء حول حالة **الآنسة القلوب الوحيدة**، لكنه كان سكرانًا ورفض الإنصات. لم يلتقط سوىٰ جزء مما حاول غولدسميث قوله.

قال شرايك: «يجب أن أختلف معك يا عزيزي غولدسميث، لا تدعُ أولئك الذي لديهم إيمان بأنهم مرضىٰ. إنهم هم الأصحَّاء. إنما أنت هو المريض».

لم يجب غولدسميث والتفت شرايك إلىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة**. «هيا أخبرنا يا أخي كيف انقدح الإيمان في قلبك أول الأمر. هل كانت الموسيقىٰ في الكنيسة، أو موت حبيب لك، أو ربما، كاهن مسن حكيم؟».

لم يعد للدعابات المألوفة أي تأثير في **الآنسة القلوب الوحيدة** بعد الآن. تبسَّم في وجه شرايك كما يفترض بالقديسين أن يتبسَّموا في وجه أولئك الذين سيقتلونهم شهداء.

واصل شرايك قائلًا: «يا لغبائي! لقد كانت الرسائل، طبعًا. ألم أقل أنا نفسي إنَّ الآنسات القلوب الوحيدة هم كهنة أمريكا القرن العشرين؟».

ضحك غولدسميث، ولكي يجعله يستمر في الضحك، قام شرايك بحيلة قديمة؛ تظاهر بأنَّه قد شعر بالإهانة. «غولدسميث أنت منتوج سيئ لهذا العصر الكافر. لا يمكنك أن تؤمن، يمكنك

فقط أن تضحك. تأخذ كل شيء بكيس من الملح وتنسىٰ أنَّ الملح هو عدو للنار وعدو للجليد كذلك. احذر، إنَّ الملح الذي تستخدمه ليس ملح العليِّة، إنَّه ملح الجزار الخشن. إنَّه لا يحمي، بل يقتل».

قاطع النادل الذي كان واقفًا علىٰ مقربة منهم حديثهم ليخاطب **الآنسة القلوب الوحيدة**. «المعذرة يا سيدي، ثمة رجل هنا اسمه السيد دويل يرغب في لقائك. قال بأنَّك تعرف زوجته».

قبل أن يتمكن **الآنسة القلوب الوحيدة** من الإجابة، أشار إلىٰ رجل يقف في الطرف الآخر من المشرب. أُجيبت الإشارة من قبل رجل أعرج ضئيل الحجم، الذي اتجه إليهم فورًا. استخدم عصا وجر إحدىٰ قدميه وراءه في حذاء علىٰ شكل صندوق بنعل طوله أربع بوصات. وفي أثناء تعثره، قام بالعديد من الحركات الزائدة، مثل تلك التي تقوم بها حشرة مدمرة جزئيًا.

قدم النادل الأعرج باسم السيد بيتر دويل. كان دويل متحمسًا للغاية وصافحه مرتين كاملتين، ثم بحركة كان من المفترض أن تكون رياضية، طلب جولة أخرىٰ من المشروبات.

قبل أن يرفع كأسه، تفحَّص شرايك الأعرجَ بدقة. وعندما انتهىٰ غمز **الآنسة القلوب الوحيدة** وقال: «نخب البشرية». وربَّت علىٰ ظهر الدويل. «الجنس البشري، الجنس البشري . . .» وتنهد هازًا رأسه بحزن. «ما هو الإنسان الذي . . .».

قاطعهم النادل مرة أخرىٰ نيابة عن صديقه وحاول تغيير الحديث إلىٰ موضوع مألوف. «السيد دويل يتفقد عدادات شركة الغاز».

قال شرايك: «ولا بدَّ أنَّه عمل ممتاز. ينبغي أن يكون قادرًا علىٰ إعطائنا ميزة وجهة نظر مختلفة. نحن العاملون في الصحف محدودون في نواحٍ كثيرة وأريد الاستماع إلىٰ طرفي القضية كليهما».

كان دويل يحدق بـ**الآنسة القلوب الوحيدة** وكأنه يبحث عن شيء ما، لكنه التفت الآن إلىٰ شرايك وحاول أن يظهر الموافقة. «أنت تعلم ما يقوله الناس، سيد شرايك؟».

«لا أيها الرجل الطيب، ما الذي يقوله الناس؟».

«الكل لديه ثلاجة هذه الأيام، ويقولون بأننا نحن متفقدو العدادات نحلُّ محلَّ الرجل الجليدي في القصص». وقد حاول دون خجل أن ينظر إليه شزرًا.

قال له شرايك مزمجرًا: «ماذا! يمكنني أن أفهم يا سيدي أنك لست الرجل المناسب لنا. لا يمكنك أن تعرف شيئًا عن الإنسانية؛ أنت الإنسانية. أتركك للآنسة القلوب الوحيدة». نادىٰ غولدسميث وانصرف مغضبًا.

شعر الأعرج بالارتباك والغضب، وقال له: «صديقك

مجنون». كان **الآنسة القلوب الوحيدة** لا يزال يبتسم، غير أنَّ طابع ابتسامته قد تغيّر. لقد أصبحت يملؤها العطف وحزينة بعض الشيء.

كانت الابتسامة الجديدة لدويل وقد علم ذلك فابتسم له ممتنًا.

قال دويل: «آه، لقد نسيت، لقد طلبت مني زوجتي إذا التقيتك صدفة أن أدعوك لتناول الطعام عندنا في البيت. لهذا طلبت من جاك أن يقدمني إليك».

كان **الآنسة القلوب الوحيدة** منشغلًا بابتسامته وقبِل الدعوة دون أن يفكر في الليلة التي قضاها مع السيدة دويل. شعر الأعرج بأنَّه قد شرُف بذلك وصافحه للمرة الثالثة. كان من الواضح أنها لفتته الاجتماعية الوحيدة. بعد القليل من المشروبات، عندما قال دويل بأنَّه كان متعبًا؛ اقترح **الآنسة القلوب الوحيدة** أن يذهبا إلىٰ الغرفة الخلفية. وجدا طاولة وجلسا متقابلين.

كان للأعرج وجه غريب جدًّا. عجزت عيناه عن الموازنة؛ لم يكن فمه تحت أنفه، كانت جبهته مربعة وعظمية، وكان ذقنه مستديرًا وكأنَّه نسخة مصغرة عن جبهته. بدا وكأنَّه إحدىٰ تلك الصور المركبة التي تستخدمها مجلات الشاشة في مسابقات التخمين.

جلسا يخدقان إلىٰ بعضها البعض حتىٰ أصبحت سلسلة

التواصل الصامت مصدر إثارة لكليهما. قام دويل بتعديلات غامضة ولا داعي لها علىٰ ملابسه. وجد **الآنسة القلوب الوحيدة** أنَّه كان من العسير عليه أن يبقي ابتسامته ثابتة.

عندما حمل الأعرج نفسه أخيرًا علىٰ الكلام، لم يتمكن **الآنسة القلوب الوحيدة** من فهمه. استمع بجد لبضع دقائق وأدرك أنَّ دويل لم يكن يقوم بأية محاولة ليُفهم. كان يقوم بولادة مجموعات من الكلمات التي عاشت داخله كأشياء، خليط من الردود السريعة كان ينوي القيام بها إذا ما تمت إهانته والشتائم الموجهة ضد القدر التي علمته التجربة أن يبتلعها.

مثل الكاهن، حوَّل **الآنسة القلوب الوحيدة** وجهه قليلًا. لقد كان يشاهد عرض يدي الأعرج. في البداية لم ترسلا شيئًا سوىٰ الحماس، ثم صارت تدريجيًا تصويرية. لقد تخلفتا لتوضحا مسألة كان قد انتهىٰ منها، أو تقدمتا لتوضيح شيء لم يبدأ في الكلام عنه بعد. ومع تمكُّنه أكثر من التعبير، توقفت يداه عن محاولة مساعدة كلامه وبدأت في الاندفاع داخل وخارج ملابسه. ظهرت إحداها فجأة من جيب معطفه، وقد سحبت ورقة من أوراق الرسائل. لقد فرض هذه الرسالة علىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة**.

«عزيزتي **الآنسة القلوب الوحيدة**..

أنا خجل نوع ما من الكتابة إليك؛ إذ إنَّ رجلًا مثلي لا يدلي بدلوه في أشياء من هذا القبيل، لكن زوجتي أخبرتني بأنَّك رجل

وليس امرأة بليدة الذهن؛ لذلك فكرت في الكتابة إليك بعد قراءة إجابتك للمحبطة. أنا رجل أعرج أبلغ من العمر ٤١ سنة وهكذا كنت طوال حياتي، ولم أدع نفسي أصاب بالإحباط حتىٰ وقت مؤخر عندما كنت أحس بإحساس رديء طوال الوقت بسبب كوني لم أحقق شيئًا في حياتي، وأسأل نفسي ما فائدة هذا كله. أنت متعلم؛ لذا حسبت أنك ربما تعلم. ما أريد معرفته لماذا أحوم علىٰ وجهي أجرُّ ساقي إلىٰ أعلىٰ الدرج وأسفله أقرأ العدَّادات لفائدة شركة الغاز لقاء ٢٢,٥٠ $ في حين يركب الرؤساء سيارات ضخمة ويعيشون في بحبوحة من العيش. لا أعتقد أني أحمر اللون وزيتي المظهر. قرأت أنهم يقتلون المعوقين في روسيا؛ لأنهم لا يستطيعون العمل، لكني أستطيع العمل أفضل من أي متشرد يعيش في المرآب وأعول زوجة وطفلة أيضًا. غير أنَّ ذلك ليس سبب كتابتي لك. ما أريد معرفته هو ما فائدة أن أجرَّ ساقي اللعينة عبر الشوارع وفي الأقبية النتنة طوال الوقت مع الألم الذي أجده، حتىٰ إني أنفجر وأغلب الوقت الهادئ أكاد أجن من الألم وعندما أعود إلىٰ المنزل كل ما أسمعه المال.. المال.. وهذا ليس بالمنزل المناسب بالنسبة لرجلٍ مثلي. ما أريد معرفته بحق الجحيم، هو ما فائدة ساق مثل ساقي عندما يجب عليك التجول هنا وهناك وأنت تجرها وتهرول باحثًا عن مساحة ثلاثة أمتار مع ألم الأسنان بسبب استعمال الساق كثيرًا. أخبرني الطبيب أن أريحها لمدة ستة أشهر

ولكن من سيدفع أجري عندما أريحها. ولكن ليس هذا ما عنيت لأنَّك إما أن تخبرني أن أغير عملي وأين عساي أجد عملًا آخر، أنا محظوظ إذ وجدت عملًا أساسًا. ليس العمل هو ما أتذمر منه، ولكن ما أريد معرفته ما الهدف من هذا الأمر القذر كله.

أرجو أن تجيبني ولكن ليس علىٰ الصحيفة؛ لأنَّ زوجتي تقرأ ما تكتب، وأنا لا أريدها أن تعلم أني كاتبتك لأني أقول دائمًا بأنَّ الصحف مجرد حماقة، ولكني خمَّنت أنك ربما تعلم شيئًا حول هذا الأمر لكونك قد قرأت العديد من الكتب وأنا لم أنهِ الإعدادية.

تحياتي،

بيتر دويل».

بينما كان الآنسة **القلوب الوحيدة** يركب أجزاء الكتابة المحيرة، إذ بيد دويل الرطبة تلمس يده تحت الطاولة عن غير قصد. استنفر مبتعدًا، لكنه بعد ذلك قاد يده وأجبرها علىٰ القبض علىٰ يد الأعرج. بعد انتهائه من الرسالة، لم يتركها وإنما ضغط عليها بشدة بكل الحب الذي استطاعه. في بداية الأمر، أكنَّ الأعرج شعوره بالإحراج من خلال تمويه معنىٰ القبضة بتحويلها إلي مصافحة، لكن سرعان ما استسلم لها وجلسا صامتين، يده في يده.

• الآنسة القلوب الوحيدة يقوم بزيارة

غادرا الحانة معًا، وكلاهما مخمور جدًّا ومنشغل جدًّا: دويل بالشدائد التي تعرض لها، والآنسة القلوب الوحيدة بالشيء الذي ظفر به تواضعه.

استقلَّا سيارة أجرة. وعندما دخلا الشارع الذي يعيش فيه دويل؛ بدأ في شتم زوجته وقدمه المصابة بالشلل.

ودعا المسيح أن يهلكهما جميعًا.

كان **الآنسة القلوب الوحيدة** سعيدًا جدًّا، وكان أيضًا يدعو المسيح بداخله. غير أنَّ دعاءه لم يكن لعنة؛ بل كان هو هيئة فرحته.

عندما اقتربت سيارة الأجرة من المنعطف، ساعد **الآنسة القلوب الوحيدة** رفيقه علىٰ النزول وقاده إلىٰ داخل المنزل. أثارا قدرًا كبيرًا من الضجة عند الباب الأمامي ودخلت السيدة دويل للبهو. عندما أبصرها الأعرج، شرعت في شتمه مجددًا.

حيَّت **الآنسة القلوب الوحيدة** وأمسكت بزوجها وخنقته خنقًا شديدًا. عندما هدأت، جرَّته إلىٰ شقتهما. لحق بهما الآنسة القلوب الوحيدة وعندما اجتازها في البهو المظلم لمسته من اسْته وضحكت.

بعد الانتهاء من غسل أيديهم، جلسوا لتناول الطعام. لقد

تناولت السيدة دويل عشاءها في وقت سابق في المساء وبقيت تنتظرهم. وكان أول ما وضعت علىٰ المائدة زجاجة ذات لتر من شراب الغينيا الأحمر.

عندما بدآ في شرب القهوة، جلست بجانب **الآنسة القلوب الوحيدة**. كان يشعر بركبتها تضغط علىٰ ركبته تحت المائدة ولكنه لم يعرها أي اهتمام وكسر ابتسامته المبتهجة لكي يشرب. لقد أثقله الطعام الثقيل وكان يحاول يائسًا أن يشعر مرة أخرىٰ بما شعر به عندما أمسك يد الأعرج في الحانة.

وضعت فخذها تحت فخذه ولكن بما أنَّه ما زال عاجزًا عن الاستجابة، نهضت فجأة وذهبت إلىٰ قاعة الاستقبال. انتظرا بعض الدقائق ووجدها تقوم بخلط شراب الزنجبيل والصودا.

شربوا كلهم بصمت. بدأ يظهر علىٰ دويل النعاس وكانت زوجته علىٰ وشك الدخول في حالة سكر. لم يقم **الآنسة القلوب الوحيدة** بأي محاولة ليكون اجتماعيًا وكان مشغولًا في محاولة العثور علىٰ الرسالة. عندما يتكلم يجب أن يكون كلامه في شكل رسالة.

بعد كوب الويسكي الثالث، بدأت السيدة دويل تغمز **الآنسة القلوب الوحيدة** علانية، ولكنه ما زال يرفض الاكتراث بها. ومع ذلك، كان الأعرج منزعجًا بشدة من إشاراتها. وبدأ يتململ ويغمغم.

أزعجت أصواته الغامضة السيدة دويل فسألته: «عم تتحدث بحق الجحيم؟».

بدأ الأعرج في تنهُّدٍ انتهىٰ بتأوُّهٍ ثم، وكأنه خجل من نفسه، قال: «ألست قوَّادًا؛ إذ أعود إلىٰ البيت برجل لزوجتي؟». نظر نظرة سريعة إلىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة** وضحك معتذرًا.

كانت السيدة دويل غاضبة. ولفَّت الصحفية علىٰ شكل مضرب وضربت بها زوجها علىٰ فمه. فاجأها بتمثيله دور الأحمق. فهَمْهَمَ مثل الكلب وأمسك بالصحيفة بين أسنانه. عندما أفلتت طرفها الذي في يدها، سقط علىٰ يديه ورجليه وواصل التمثيلية علىٰ الأرض.

حاول **الآنسة القلوب الوحيدة** أن يوقف الأعرج علىٰ قدميه فانحنىٰ لكي يرفعه، ولكن، عندما فعل ذلك؛ مزق دويل أزرار بنطلون **الآنسة القلوب الوحيدة**، ثم تدحرج علىٰ ظهره، ضاحكًا بجموح.

ركلته زوجته وتحولت بعيدًا وهي تشخر شخير ازدراء.

أما الأعرج فسرعان ما لفظ أنفسه من الضحك، وعادوا جميعًا إلىٰ مقاعدهم. جلس دويل وزوجته يحدقان إلىٰ بعضهما البعض، بينما بدأ **الآنسة القلوب الوحيدة** في البحث عن رسالة.

أزعج الصمت السيدة دويل. وعندما لم يعد بإمكانها

احتماله، ذهبت إلىٰ البوفيه لتقديم جولة أخرىٰ من المشروبات. غير أنَّ الزجاجة كانت فارغة. طلبت من زوجها أن يذهب إلىٰ الصيدلية التي في الزاوية ليأتي ببعض الجين. رفض ذلك بهزة رأس فظة.

حاولت أن تجادله. فتجاهلها وفقدت أعصابها وصاحت في وجهه: «ائتني ببعض الجين! ائتني ببعض الجين أيها الوغد!».

وقف الآنسة القلوب الوحيدة. لم يجد رسالته إلىٰ الآن، لكن كان عليه أن يقول شيئًا. فناشدهما قائلًا: «أرجوكما لا تتشاجرا. إنَّه يحبك أيتها السيدة دويل. هذا سبب تصرفه علىٰ هذا النحو. كوني لطيفة معه».

ولولت منزعجة وغادرت الغرفة. كان باستطاعتهما أن يسمعاها وهي تضرب الأشياء بعنف في المطبخ.

ذهب الآنسة القلوب الوحيدة إلىٰ الأعرج وابتسم له الابتسامة نفسها التي استخدمها في الحانة. ابتسم له الأعرج وأخرج يده. فأمسكها الآنسة القلوب الوحيدة، ومكثا كذلك، يبتسمان يدًا في يد، إلىٰ أن دخلت السيدة دويل الغرفة مجددًا.

فقالت لهما: «ما ألطفكما من جنياتين أيها الرفاق».

سحب الأعرج يده بعيدًا وتظاهر بأنَّه سيضرب زوجته. أدرك الآنسة القلوب الوحيدة بأنَّ الوقت قد حان ليقدم رسالته، الآن أو أبدًا.

«لديك جسم كبير وقوي أيتها السيدة دويل. بضمِّك زوجك بين ذراعيك، يمكنك أن تدفئيه. يمكنك أن تنزعي البرد من عظامه. إنه يجرُّ أيامه جرًّا في الممرات والأقبية وهو يحمل حملًا ثقيلًا من التعب والألم. يمكنك أن تستبدلي هذا الحمل بحلم جميل تكونين أنت موضوعه. حلم مزدهر ستكونين فيه بمثابة الدينامو. يمكنك القيام بذلك من خلال السماح له بإخضاعك في السرير. سوف يجزيك في المقابل بأن يتفتَّح ويصير شغوفًا بك . . .».

لقد أعجزها الشعور بالدهشة عن الضحك، وأشاح الأعرج بوجهه بعيدًا وكأنه مُحْرجٌ.

منذ الكلمات الأولىٰ عرف الآنسة القلوب الوحيدة أنَّه سيكون مثيرًا للسخرية. فبتجنُّبه الرب، فإنَّه قد فشل في تسخير القوة التي في قلبه ولم يفعل شيئًا سوىٰ أنَّه كتب عمودًا في صحيفته.

حاول مجددًا بأن يصبح هستيريًا. «إنَّ المسيح هو الحب»، وقد صرخ في وجهيهما. لقد كان صراخًا مسرحيًا، لكنه استمر فيه. «إنَّ المسيح هو الفاكهة السوداء التي تتدلىٰ علىٰ الشجرة الصليب. لقد ضاع الإنسان بأكله من الفاكهة المحرمة. سوف ينجو إذا ما أكل من الفاكهة المطلوبة. فاكهة المسيح السوداء، فاكهة الحب . . .».

لقد فشل هٰذه المرة فشلًا ذريعًا. فقد استعاض عن خطابة

شرايك بخطابة الآنسة القلوب الوحيدة. شعر وكأنَّه زجاجة فارغة، لامعة وعاقر.

أغمض عينيه. وعندما سمع الأعرج يقول: «أحبك، أحبك»؛ فتحهما ورآه يقبِّل زوجته. لقد علِم أنَّ الأعرج لم يكن يفعل ذلك بسبب الأشياء التي تفوَّه بها وإنما بدافع الولاء. «حسنًا، أيها المجنون»، قالت ذلك متعالية علىٰ زوجها. «إني أسامحك، ولكن اذهب إلىٰ الصيدلية وائتِ ببعض الجين».

أخذ الأعرج قبعته وغادر دون أن ينظر إلىٰ الآنسة القلوب الوحيدة. عندما غادر، قالت السيدة دويل مبتسمة: «لقد كنت تصرخ وأزرار بنطلونك مفتوحة، اعتقدت أني سأموت من الضحك».

لم يجبها.

واصلت قائلة: «هل أخذته الغيرة؟ كل ما علي فعله هو أن أشير إلىٰ رجل كبير وأقول (جي، أريده أن يملأني حبًّا)، ذلك يدفعه إلىٰ الجنون».

كان صوتها منخفضًا وثخينًا وكان الأمر واضحًا أنها تريد إثارته. عندما توجهت نحو الراديو لتضع أوركسترا الجاز، لوحَّت باسْتِها في وجهه مثل العَلَم.

أخبرها بأنَّه كان مرهقًا جدًّا ليرقص. بعد قيامها ببعض

الخطوات الفاحشة أمامه، جلست في حضنه. حاول دفعها، لكنها ما انفكت تضغط بفمها المفتوح علىٰ فمه وعندما التفت بعيدًا؛ قامت بتمريغ خده. أحسَّ وكأنَّه زجاجة فارغة تُملأ ببطء بماء دافئ آسن.

عندما فتحت فتحة ثوبها وحاولت إدخال رأسه عنوة بين ثدييها؛ باعد بين ركبتيه بحركة سريعة تركتها ملقاة علىٰ الأرض. حاولت أن تجذبه لتجعله فوقها. فاندفع بلا هوادة وضربها علىٰ وجهها. فصرخت فضربها مرارًا وتكرارًا. استمر في ضربها حتىٰ توقف عن محاولة ضمِّه إليها، ثم ركض إلىٰ خارج المنزل.

● الآنسة القلوب الوحيدة يحضر حفلة

ذهب الآنسة القلوب الوحيدة إلىٰ الفراش مرة أخرىٰ. هذه المرة من المؤكد أنَّ سريره كان يأخذه إلىٰ مكان ما، وبسرعة كبيرة. ما كان عليه إلَّا أن يمتطيه بصمت. لقد مضىٰ ثلاثة أيام منذ أن بدأ في امتطائه.

قبل أن يتسلق علىٰ متنه، كان قد استعد للرحلة من خلال تعطيل جرس الهاتف وشراء عدة علب كبيرة من المكسرات. الآن ينام علىٰ السرير يأكل المكسرات ويشرب الماء ويدخن السجائر.

أخذ يفكر في مدىٰ هدوئه. كان هدوؤه كاملًا بحيث لم يستطع تدميره حتىٰ بمجرد الوعي به. لقد ذهب بعيدًا في مدة ثلاثة

أيام. لقد خيم الظلام علىٰ الغرفة. خرج من السرير، غسل أسنانه، تبول، ثم أطفأ النور وذهب للنوم. لقد أخلد للنوم دون حتىٰ أن يتنهد ونام نوم الحكماء والأبرياء. لقد كان واعيًا، دون أن يحلم، باليرعات ومنحدرات المحيطات.

في وقت لاحق تدحرج قطار نحو المحطة حيث كان هو تمثالًا مستلقيًا يحمل ساعة متوقفة عن العمل، مدربًا يتمتم في ساحة الحانة حيث كان يجلس إلىٰ القيثارة، صاغرًا، يظل المطر بحدبته.

استيقظ. تجمَّع ضجيج الوافدين جميعهم ليشكل طرقًا علىٰ الباب. تسلَّق خارج السرير. ورغم أنَّه كان عاريًا تمامًا؛ إلَّا أنه اتجه إلىٰ الباب دون أن يستر نفسه. خمسة أشخاص اندفعوا إلىٰ الداخل، كان معهم امرأتان. صرخت المرأتان عند رؤيته وهرعتا إلىٰ البهو مرة أخرىٰ.

لم يبرح الرجال الثلاثة أمكنتهم. تعرَّف الآنسة القلوب الوحيدة علىٰ شرايك من بينهم ورأىٰ أنَّه، شأنه في ذلك شأن الآخرين، كان سكرانًا للغاية. زعم شرايك أنَّ إحدىٰ المرأتين كانت زوجته وأنَّه يريد قتاله لإهانته إياها.

وقف الآنسة القلوب الوحيدة بهدوء في وسط الغرفة. اندفع شرايك نحوه، لكنه ارتدَّ علىٰ عقبه كما ترتد الموجة المندفعة نحو صخرة قديمة وسلسة الملمس بفعل الخبرة.

لم يكن ثمة موجة ثانية. بدلًا من ذلك أصبح شرايك مرحًا

وصفع **الآنسة القلوب الوحيدة** علىٰ ظهره وقال له: «البس سروالك يا صاحبي، سوف نذهب إلىٰ حفلة».

التقط **الآنسة القلوب الوحيدة** علبة المكسرات.

قال له شرايك وهو يحثُّه: «هيا يا بني، إنَّ الشرب علىٰ انفراد هو ما يجعل السكِّيرين».

فحص **الآنسة القلوب الوحيدة** المكسرات قطعة قطعة قبل أن يُلقي بها في فمه.

«لا تكن مفسدًا للمتعة»، قال شرايك ذلك وهو ينتفض غضبًا. لقد كان طائر نورس يريد وضع بيضة في طرف الصخرة الأملس، طائر نورس صيَّاح وأخرق. «هناك لعبة نريد أن نلعبها ونحتاجك لكي نلعبها. كل شخص لديه **الآنسة القلوب الوحيدة** خاصَّته. لقد اخترعتها ولا نستطيع أن نلعبها من دونك».

أخرج شرايك مجموعة كبيرة من الرسائل من جيوبه ولوَّح بها أمام **الآنسة القلوب الوحيدة**. لقد تعرَّف عليها؛ لقد كانت من ملفه في المكتب.

ظلت الصخرة هادئة وصلبة. ورغم أنَّ **الآنسة القلوب الوحيدة** لم يساوره شك في قدرتها علىٰ الصمود أمام أي امتحان؛ إلَّا أنَّه كان مستعدًا أن يراها تحاول ذلك. بدأ في ارتداء ملابسه.

نزلوا إلىٰ الأسفل، وتكدَّس الأفراد الستة في سيارة أجرة

واحدة. جلست ماري شرايك في حضنه، وعلىٰ الرغم من تلوِّيها وهي سكرانة؛ إلَّا أنَّ الصخرة ظلت في أحسن حالة.

ما زالت المجموعة في شقة شرايك. تعالىٰ صوت هديرٍ عندما دخل **الآنسة القلوب الوحيدة** واندفع الحشد إلىٰ الأمام. وقف ثابتًا وتراجع إلىٰ الخلف في لفَّة عقيمة. ابتسم. لقد جعل أكثر من عشرات السكارىٰ يلتفتون. لقد جعلهم يلتفتون دون جهد أو تفكير. بينما كان واقفًا يبتسم، تسللت موجة صغيرة خارج الفوضىٰ ورشَّت علىٰ قدميه لجذب اهتمامه. لقد كانت بيتي.

سألته: «ما خطبك؟ هل أنت مريض مرة أخرىٰ».

لم يجبها.

عندما جلسوا جميعًا، جهز شرايك لبداية اللعبة. أعطىٰ كل واحد منهم بعض الأوراق وقلمًا ثم قاد **الآنسة القلوب الوحيدة** إلىٰ وسط الغرفة. وبدأ كلامه المعسول.

«سيداتي سادتي»، قال ذلك مقلدًا صوت منادي السيرك. «معنا الليلة رجل كلكم يعرفه وكلكم معجب به. **الآنسة القلوب الوحيدة**، إنَّه ذو القلب الغنَّاء - موسوليني الروح الذي ما يزال أكثر انتفاخًا.

لقد جاء اليوم ليساعدكم علىٰ حل مشاكلكم الأخلاقية والروحية، ليقدم لكم شعارًا، قضية، قيمة مطلقة وسببًا للوجود.

بعضكم، ربما، يظن أنَّه تجاوز المرحلة التي يمكن أن تنفعه المساعدة. إنكم تخشون أنَّه حتىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة**، علىٰ الرغم من ضراوة شعلته، لن يتمكن من إشعالكم. إنكم تخشون أنَّه حتىٰ عند تعرضكم لشعلته المتوهجة، فإنكم فقط سوف تحترقون بلا لهب وتخرج منكم رائحة كريهة. فلتكن قلوبكم طيبة، فإني أعلم أنها ستندلع فيكم النيران. سوف يسود **الآنسة القلوب الوحيدة** بلا ريب».

سحب شرايك مجموعة الرسائل ولوَّح بها فوق رأسه.

قال له: «سوف نمضي بشكل منهجي. أولًا كل منكم سيحاول جاهدًا الإجابة علىٰ واحدة من هذه الرسائل، بعد ذلك سيقوم **الآنسة القلوب الوحيدة**، من خلال إجاباتكم، بتشخيص أمراضكم الأخلاقية. بعد ذلك سوف يقودكم في طريقكم إلىٰ بلوغ غاياتكم».

مرَّ شرايك بين ضيوفه يوزع الرسائل كما يوزع الساحر أوراق اللعب. تحدث باستمرار وقرأ جزءًا من كل رسالة قبل تسليمها.

«هذه رسالة من امرأة عجوز توفي ابنها في الأسبوع الماضي. تبلغ من العمر سبعين سنة وتبيع أقلام الرصاص لكي تعول نفسها. ليس لديها جوارب وتلبس في قدميها الجريحتين الداميتين حذاء ثقيلًا. وهي مصابة بالرشح في عينيها.

هل نجد لها مكانًا في قلوبكم؟

هذه رسالة أخَّاذة. صبي صغير يرغب في الحصول علىٰ كمان. يبدو الأمر بسيطًا، كل ما عليك القيام به أن تأتي للصبي بالكمان. لكنك اكتشفت لاحقًا أنَّه قد أملىٰ أخته الصغيرة الرسائل. هو أشلٌّ ولا يمكنه حتىٰ أن يُطعم نفسه. لديه كمان لعبة يعلقه علىٰ صدره، مقلِّدًا صوت العزف بفمه. كم هو مثير للشفقة! بيد أنَّه بإمكان المرء أن يتعلم الشيء الكثير من هذا المثل؟ اجعلوا الصبي هو العمل، والكمان رأس المال، وهكذا . . .».

تحمَّل الآنسة القلوب الوحيدة كل ذلك بمنتهىٰ الهدوء. لم يكن حتىٰ مهتمًا. فلا تعلُّق للصخرة بما يحدث في البحر.

عندما تم توزيع جميع الرسائل، أعطىٰ شرايك رسالة للآنسة القلوب الوحيدة. أخذها بيده، ثم بعد أن أمسكها لبرهة من الزمن، أسقطها علىٰ الأرض دون قراءتها.

لم يهدأ شرايك ولو للحظة.

«إنك تنغمس في عالم من البؤس والمعاناة، مأهول بمخلوقات أجنبية عن كل شيء ما عدا الأمراض ورجال الشرطة. يُغير عليهم أحدهم، ويستعجلهم الآخر . . .

ألمٌ، ألمٌ، ألمٌ، ألم القلب والعقل الممل، الدنيء، الناخر، المُحَقَّب. ذلك الألم الذي لا يخففه سوىٰ مرهم روحي قوي . . .».

عندما رأىٰ الآنسة القلوب الوحيدة بيتي قد وقفت وهمَّت

بالمغادرة، تبعها إلىٰ خارج الشقة. هي أيضًا كان يجب عليها رؤية الصخرة التي صارت هو.

لم ينتبه شرايك لغيابه إلَّا عندما اكتشف الرسالة علىٰ الأرض. التقطها وحاول البحث عن **الآنسة القلوب الوحيدة**، ثم توجه بالخطاب إلىٰ الجماعة مرة أخرىٰ.

نقل لهم الإعلان قائلًا: «لقد اختفىٰ المعلم، لكن لا يصيبنَّكم اليأس، فأنا ما زلت معكم. أنا حواريُّه وسوف أقودهم في طريقكم لبلوغ المأمول. أولا دعوني أقرأ عليكم هذه الرسالة المبعوثة مباشرة إلىٰ المعلم.

أخرج الرسالة من الظرف، وكأنه لم يسبق له قراءتها، وبدأ: «(يا لك من وضيع قذر! عندما عدت إلىٰ المنزل، وجدت زوجتي تبكي علىٰ الأرض والدار تغصُّ بالجيران. قالت بأنَّك حاولت أن تغتصبها أيها الوضيع القذر وأرادوا دعوة الشرطة غير أني أخبرتهم أني سوف أقوم بالمهمة بنفسي . . .).

يا ويحي، يا ويحي، لا أستطيع حقًا أن أحمل نفسي علىٰ النطق بمثل هذا الكلام المشين. سوف أتجاوز السِّباب وأكمل: (إذن هذه نهاية خطبك المزخرفة، أيها الوغد، ينبغي أن يُنسف دماغك). موقَّعة باسم دويل.

حسنًا، حسنًا، إذن فإنَّ المعلم هو راسبوتين آخر. كم يزعزع هذا الأمر إيمان الواحد منَّا! لكن لا يمكنني تصديق ذلك. لن

أصدق. لا يمكن للمعلم أن يسيء التصرف. إنَّ إيماني لا يتزعزع. وما هذه سوىٰ محاولة أخرىٰ ضده من قبل الشيطان. لقد قضىٰ حياته يحارب الشيطان الأكبر من أجلنا، وسوف ينتصر. أقصد **الآنسة القلوب الوحيدة** وليس الشيطان.

الإنجيل وفقًا لشرايك. دعوني أخبركم عن حياته. لقد نُشرت أمامي كالصحيفة. أولًا في فجر الطفولة، تشع منه براءة خالصة، مثل نجم غُسل بماء المطر، ذهب في طريقه المتعِب إلىٰ جامعة هارد نوكس. بعد ذلك، بكونه شابًا، يقتحم الليل من فراش أول عاهرة له. ثم، الرجل، **الآنسة القلوب الوحيدة** الرجل - خلال كفاحه ببسالة لتحقيق مثل أعلىٰ، فإنَّ مساره قد نُحت بمقصد فخور. ولكن، يا للأسف! بكل ازدراء وبرودة، يكدِّس العالم العقبة تلو الأخرىٰ في طريقه. مقدَّرٌ للهدف أمامه، إذ بصوت رعدي يأمره: (مكانك!) فقال في نفسه (اجعل كل عقبة سلَّما لك، أعلىٰ، أعلىٰ، اصعد!) وهكذا صعد، يقرع درجة السلم المنهكة، وهكذا يحث نفسه علىٰ الصعود، مختنقًا بالنار المقدسة، وهكذا . . . ».

● **الآنسة القلوب الوحيدة وفستان الحفلة**

عندما غادر **الآنسة القلوب الوحيدة** شقة شرايك، وجد حينها بيتي في البهو تنتظر المصعد. كانت ترتدي فستانًا أزرق فاتح اللون وكان يبدو إلىٰ حد كبير فستان حفلة. أدرك أنها كانت تتأنق لأشياء.

حتىٰ الصخرة قد تأثرت بإدراكه هذا. لا لم تكن الصخرة هي التي تأثرت. ما تزال الصخرة في أحسن حال. بل كان عقله هو الذي تأثر، الأداة التي من خلالها عرف الصخرة.

اقترب من بيتي مبتسمًا لأنَّ عقله كان حرًّا وصافيًا. فقد رسبت الأشياء التي عكَّرت صفوه في الصخرة. لكنها لم تبتسم له وأجابته بحدة: «أنت تبتسم لمن؟».

قال لها: «آه أنا آسف، لم أقصد شيئًا».

دخلا المصعد معًا. وعندما وصلا إلىٰ الشارع أمسك بذراعها علىٰ الرغم من أنها حاولت التفلُّت منه.

ترجَّاها قائلًا: «ألا ترغبين في تناول كأس من الصودا من فضلك؟»، كان ثوب الحفلة قد منح عقله البسيط دليلًا وقد سُرَّ بنقاش الصبي والفتاة الذي تلا ذلك.

«لا، أنا راجعة إلىٰ البيت».

«آه، هيّا»، قال ذلك وهو يسحبها في اتجاه بار المرطبات والمثلجات. وفي أثناء سيرها، بالغت دون وعي منها في هيئة الفتاة الصغيرة في فستان الحفل.

طلب كلاهما شراب الفراولة الغازية. امتصَّ كل منهما القطرات الوردية من خلال الشَّفَّاطة، وقد عبست في وجه ابتسامته. ولا أحد منهم كان واعيًا بأنهما كان لطيفين.

«لماذا أنت غاضبة مني يا بيتي؟ لم أفعل شيئًا. كانت فكرة شرايك وهو الذي تفوَّه بكل ذلك الكلام».

«لأنك أحمق».

«لقد تركت وظيفة الآنسة القلوب الوحيدة. لم أذهب إلىٰ المكتب منذ أسبوع تقريبًا».

«ماذا ستفعل؟».

«سأبحث عن وظيفة في وكالة إعلانات».

لم يكن يتعمد الكذب، كان فقط يقول ما أرادت هي أن تسمعه. كان ثوب الحفلة ساحرًا وفاتنًا، الأزرق الفاتح مع ياقات بيضاء بالدانتيل الرقيق موشَّحة باللون الوردي. مثل ياقة الصودا خاصَّتها.

«يجب أن ترىٰ بيل ويل رايت من أجل وظيفة. لديه وكالة - وهو أيضًا رجل رفيع المنزلة. هو يحبني».

«لا أستطيع العمل لدىٰ منافس لي».

شدَّت أنفها وضحكا كلاهما. كان ما يزال يضحك عندما لاحظ أنَّ شيئًا ما قد أصاب ضحكها.

كانت تبكي. أحسَّ بالصخرة. كانت ما تزال هناك. لا الضحك ولا البكاء يمكن أن يؤثر في الصخرة. كانت غافلة عن الرياح والمطر.

قالت وهي تبكي: «آه يا لي من حمقاء». ركضت مسرعة خارج المتجر.

تبعها وأمسك بها. غير أنَّ بكاءها قد تعالىٰ فأوقف سيارة أجرة وأجبرها علىٰ الركوب.

بدأت في الكلام وهي تبكي. كانت حاملًا. كانت توشك أن يكون لها طفل.

وضع الصخرة أمامه وانتظرها في اتِّزان تام حتىٰ تتوقف عن البكاء. عندما هدأت، طلب يدها للزواج.

قالت له: «لا ، سأذهب لأجري عملية إجهاض».

«رجاء اقبلي الزواج مني». توسَّل إليها كما توسَّل إليها لتحتسيَ كأس الصودا معه.

توسَّل إلىٰ فستان الحفلة كي تقبل الزواج منه، وهو يقول كل الكلام التي توقَّعت سماعه. كل الأشياء التي تناسب مشروبات الفراولة الغازية ومزارع ولاية كونكتيكت. كان كما أراده، أن يكون فستان الحفلة: بسيطًا ولطيفًا، غريب الأطوار، وشاعريًا. طالب جامعي تافه ولكنه رجوليٌّ للغاية.

في الوقت الذي وصلا فيه إلىٰ منزلها، كانا يتناقشان حول حياتهما بعد الزواج. أين سيعيشان وكم من غرفة سيعيشان فيها. هل بإمكانهما الاعتناء بطفلهما. كيف يمكنهما إعادة تأهيل المزرعة

في كونكتيكت. أي نوع من أنواع الأثاث يفضِّلان.

لقد وافقت علىٰ أن يكون لهما طفل. وفاز بتلك النقطة. في المقابل، وافق علىٰ رؤية بيل ويل رايت من أجل العمل. مع قدر كبير من الضحك، قررا أن يكون لهما ثلاثة أسرّة في غرفة نومهما. سريران، ومع كثير من التزمُّت والتنطُّع، بينهما سرير الحب، سرير مزدوج ومزخرف بأشكال الكيوبيد والحوريات وبيتر بان.

لم يساوره شعور بالذنب، لم يشعر بذلك. كانت الصخرة تمثل تصلُّب مشاعره، ضميره، إحساسه بالواقعية، معرفته بذاته. كان بإمكانه أن يخطط لكل شيء. قلعة في إسبانيا وحب علىٰ الشرفة، أو في رحلة قراصنة وحب علىٰ جزيرة استوائية.

لقد ابتسم عندما أُغلق باب منزلها خلفه. لقد تمَّ اختبار الصخرة بشكل كامل ووُجدت في أحسن حال. فقط عليه أن يتسلَّق السرير مرة أخرىٰ.

• **الآنسة القلوب الوحيدة لديه خبرة دينية**

بعد انقضاء ليلة وصباح طويلين، نحو الظهيرة، رحَّب **الآنسة القلوب الوحيدة** بقدوم الحمىٰ. لقد وعدته بالحرارة والعنف غير المبرر عقليًا. وقد وفت بوعدها، أصبحت الصخرة فرْنًا.

ثبَّت عينيه علىٰ صورة المسيح المعلقة علىٰ الحائط المقابل لسريره. بينما كان يحدق بتلك الصورة، أصبحت ذبابة مشرقة،

تدور ببركة سريعة علىٰ خلفية مخمل دم نُضحت عليه نجوم صغيرة جريئة.

كان كل شيء آخر في الغرفة ميتًا - الكراسي والطاولة وأقلام الرصاص والملابس والكتب. فكَّر في عالم الأشياء الأسود هذا علىٰ أنَّه سمكة. وقد كان محقًّا؛ لأنها سرعان ما ارتفعت إلىٰ الطُعم المشرق علىٰ الحائط. ارتفعت مع رذاذ من الموسيقىٰ وقد رأىٰ بطنها الفضي اللامع.

المسيح هو الحياة والنور.

«المسيح .. المسيح»، ترددت هذه الهتافات خلال الخلايا الأعمق في جسده.

نقل رأسه إلىٰ بقعة باردة علىٰ الوسادة وأصبح العرق في جبهته أقل انتفاخًا. وأحسَّ بأنَّه نظيف ونشيط. كان قلبه وردة وقد أزهرت في جمجمته وردة أخرىٰ.

كانت الغرفة ممتلئة بالبركة. بركة حلوة وصافية، ليست نظيفة بسبب الغسل؛ وإنما نظيفة كالجانبين الداخليين للبتلات الداخلية لبرعم حديث الظهور.

كانت الفرحة أيضًا في الغرفة. كانت بمثابة النسيم العليل، وكانت أعصابه متموجة تحتها مثل الزهور الزرقاء الصغيرة في المراعي.

كان واعيًا بإيقاعين قد تحولا ببطء إلىٰ إيقاع واحد. عندما أصبحا إيقاعًا واحدًا، كان تماهيه مع الرب كاملًا. كان قلبه قلبًا واحدًا، قلب الرب. وكذلك عقله.

قال الرب: «هل ستقبلها، الآن؟».

فأجاب: «أنا أقبل، أقبل».

بدأ علىٰ الفور في التخطيط لحياة جديدة ولسلوكه المستقبلي الجديد بما أنَّه **الآنسة القلوب الوحيدة**. قدَّم مسودات من عموده إلىٰ الربِّ وقد وافق الربُّ عليها. لقد وافق الربُّ علىٰ كل أفكاره.

رنَّ جرس الباب فجأة. تسلق خارج سريره وتوجه نحو البهو ليرىٰ من الآتي. كان دويل، الأعرج، وكان يصعد الدرج ببطء.

لقد أرسله إليه الرب ليتسنىٰ للآنسة القلوب الوحيدة القيام بمعجزة وليكون علىٰ يقين من تحوله إلىٰ الدين. كانت هذه علامة. سيحتضن الأعرجَ وسيُعافىٰ الأعرج مرة أخرىٰ، مثلما عُوفيَ هو بكونه أعرج الروح.

سارع إلىٰ أسفل الدرج للقاء دويل بذراعيه المفتوحة من أجل المعجزة.

كان دويل يحمل شيئًا ملفوفًا في صحيفة. عندما رأىٰ **الآنسة القلوب الوحيدة**، وضع يديه داخل الحزمة وتوقف. صرخ كنوع من التحذير، لكن **الآنسة القلوب الوحيدة** واصل مهمته. لم يفهم

صرخة الأعرج وسمعها علىٰ أنها صرخة طلب المساعدة من اليائسة، هارولد. آس، الأم الكاثوليكية، منكسرة القلب، عريضة المنكبين، سئمتُ من كل شيء، المحبطة من الزوج المسلول. هو كان ذاهبًا ليسعفهم بالحب.

التفت الأعرج ليفرَّ لكنه كان بطيئًا للغاية وقبض عليه **الآنسة القلوب الوحيدة**.

بينما كانا يتشاجران، دخلت بيتي من الباب الرئيس. دعتهما ليكفَّا عن ذلك وصعدت الدرج. ظنَّ الأعرج أنها حاولت عرقلة عملية فراره فحاول التخلص من الحزمة. سحب يده فانفجرت القنبلة التي كانت داخل الحزمة وسقط **الآنسة القلوب الوحيدة**، ساحبًا الأعرج معه. تدحرج كل منهما جزءًا من مسافة النزول علىٰ الدرج.

النهاية

عالم الأدب
للترجمة والنشر

(١) رحلتي إلى كشمير.. مشاهدات موثقة بالحرف والصورة... سالم القحطاني

(٢) ظل النديم .... وجدان العلي

(٣) التوجيه الأدبي .... أحمد أمين

(٤) ماهية الرواية .... د. الطيب بو عزة

(٥) أوراق العشب (والت ويتمان) .... ترجمة: ماهر الطوخي

(٦) المدخل إلى الآداب الأوروبية .... فؤاد المرعي

(٧) المدخل إلى الفلسفة (أرفلد كولبه) .... ترجمة: أبو العلا عفيفي

(٨) مشكلات الفلسفة (برتراند راسل) .... ترجمة: آراك محمد الشوشان

(٩) جسر سان لويس راي (ثورنتن وايلدر) ...... ترجمة: قاسم حسن درار

(١٠) عالم جديد شجاع (ألدوس هكسلي) .... ترجمة: مروة سامي

(١١) الدم الحكيم (فلانري أوكونور) .... ترجمة: عبد المنعم العبيد

(١٢) رسالة في نشأة اللغة والمجاز .... رضا محمد عزيز زيدان

(١٣) دروس في الفلسفة .... يوسف كرم - إبراهيم مدكور

(١٤) المعلقات العشر .... ضبطها: أحمد حمدي عبد الباقي

(١٥) الآنسة القلوب الوحيدة .... ترجمة: خالد بن المهدي

عالم الأدب
للترجمة والنشر

عالم الأدب
للترجمة والنشر

الآنسة القلوب الوحيدة

هذه الرواية باتفاق النقاد تقريبًا من أفضل الأعمال الروائية التي كُتبت خلال القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي من أعظم ما كتب ناثانييل واست الروائي الأمريكي. وقد وصفها هارولد بلوم بأنها: «تحفة فنية قاسية»، وهي كما ذكر كينغسلي ويدمر: «تعتبر أفضل أعمال ناثانييل».

وأهم ما يميز هذه الرواية هي أنها متجذرة في الثقافة الأمريكية تمامًا، فتحاكيها بسخرية لاذعة، وتنفض عنها الأقنعة الزائفة فتبرز عيوبها، وتشير إلى تناقضها وضمورها، وتلمح إلى مواضع قصورها، ومحاكاتها الساخرة الجريئة للرموز المسيحية وعزوها إلى القصور في تحقيق الخلاص وإضفاء المعنى والمقصد على حياة الإنسان ووجوده وتوفير العزاء لأولئك الذين يعانون من شراسة هذا العالم المادي وقساوة أهله. ويوجه وايست نقدًا لاذعًا إلى الحضارة المادية في عمومها، التي طغت على مختلف جوانب الحياة، فجرّدتها من كل معنى، وسلبتها كل وسيلة لتحقيق هدف روحي أو معنوي. فلم تترك للإنسان المطحون تحت حجارتها وحديدها، تحت سياراتها وقطاراتها، تحت تماثيلها الإسمنتية وطرقاتها الإسفلتية؛ لم تترك له مهربًا يفر إليه، أو ملتجأ يلتجئ إليه، إلا وجعلته بلا قيمة وبلا معنى؛ فالفنُّ صار من حلفائها، والدين طوّعته واستخدمته لصالحها.

الثمن: ٤ دولارات
أو ما يعادلها

ISBN 978-977-6539-17-4
9789776539174

info@aalamaladab.com